السيارة السوداء

اسطورة عابد الشيطان

حازم عبد اللطيف

سؤالا يشغل الرأي العام .. اين تختفي الفتيات هذه الأيام ؟ ..

الاهداء والشكر :

الي الأصدقاء الذين لم أراهم بعد ...

الي قارئ سوف تروق له تلك الكلمات....

اتمني لك قراءة ممتعة...

بداية بدون مقدمات ....

(فقط اقلب الصفحة او انظر لليسار او اسحب للاسفل ..)

حازم عبد اللطيف

اقتل ما رغبت في ذلك[1]

امنع البقرة من إدرار اللبن . . أجعل الآخرين غير قادرين على الانجاب . . أقتل الأجنة في بطون أمهاتهم . . اشربوا دم الصغار واصنعوا منه حساء . . أخبزوا في الأفران لحومهم، اصنعوا من عظامهم أدوات للتعذيب . .

---

١ شعار حقيقي

هي فتاة كأي فتاة.. نزلت من بيتها قاصدة أي مكان كان، كانت تتشبث بكتب ما، تنسدل من كتفها تلك الحقيبة النسائية، يبدو عليها التوتر والتوجس من شيء ما.. الفطرة لا تخيب أبداً، طالما شعر جسد الانسان بالخطر الذي يحوم حوله، لربما تلك مهارة توارثناها من اجدادنا القدامى.. حيث كانوا ينامون كالذئاب وقد أغلقوا عين وتركوا الأخرى ترقبا لأي حيوان شرس، حتى يضمنوا ان يستيقظوا مجددا..

المهم أنها تشعر بالخطر.. وترتجف لذلك

مع نسمات الليل الباردة تتحسس ذراعيها العاريتين البارزتين من كمين قصيرين لقميص أصفر.. في شفقة؟ لعلها في أسى؟ او تشف؟

تزيح بعض الشعيرات المتطايرة التي تبغي التحرر في الـــ مالا نهاية..

الرجفة تزداد ودقات القلب تعلو.. الاوردة امتلأت بالدم الذي ساده الادرنالين..

حتما الجسد لا يكذب! .. حتما هناك خطرا ما!

ذلك الكلب الاسود ذو العينين الحمراوين يخيفها.. يبدو مسعورا، او هو الشيطان ذاته، ينظر لها في ثبات لا يبدي اندهاشا ولا حتى استعدادا للهجوم..

لا يدري انها تعاني من فوبيا الكلاب والجرذان وكل شيء يتحرك؟ ..

ولماذا تمشي في شارع فارغ كهذا؟

وفي تلك الظلمة التي تزيدها رهبة اعمدة الاضاءة الصفراء الواهنة دوما..

رغم أن الساعة هي التاسعة والنصف او لعلها العاشرة، ولكن لما تبدو الاجواء كأنها الثالثة فجرا؟! اخذت قرارها في التراجع، يجب البحث عن طريق اخر، هذا الطريق لا يريحها

(حتما الجسد لا يكذب! .. حتما هناك خطرا ما!)

هناك من امسك بها من الخلف! انبثق فجأة من خلف السيارة السوداء المتوارية في الظلام.. ملثم الوجه، يمسك خنجرا غريب الشكل ذو مقبض اسود، استطاعت ان تري عليه نقوشا غريبة!

النجوم والرموز الغير محببة طبعاً..

كانت تصرخ.. وبالطبع كان صراخها دون جدوى..

سقطت الحقيبة والكتب على الأرض، ركض الكلب الاسود مذعورا.. لقد اصابها جرحا بالتأكيد والا ما هذه الدماء؟

حملها في يده، وضعها في السيارة وانطلقت

انطلقت في طريق اخر..

(١)

اشعلت لفافة تبغ ككل المحققين المحنكين، ونفثت مرتين الدخان من فمي.. في موقع الحادث رقم اربعة على ذات التسلسل، جريمة اختطاف قد تصل لدرجة القتل، في اماكن مختلفة؛ معني هذا ان السفاح يريد ضحيته حية او ميتة، وأنه لا يقبع في مكان بعينه، او هو ليس واحدا كما نعتقد.. ورغم عدم ثبوت بعد ان كان سفاح حقا ام لا.. ولكن بالتأكيد هو كذلك.. حتى لو كان هناك تشكيل عصابي متكامل يخطف لأي سبب اخر انا لا أدرى كنهه، فبالتأكيد هو لا يفعل ذلك لكي يلعبون سويا تنس الطاولة ! ..

انا المحقق الشاب (عماد فخري) الذي لم يحقق بعد إنجازات تذكر؛ لأني كما قلت ما زلت شاب، ولكن تلك القضية الاخيرة التي هوت على رائسي كالنيزك؛ إن استطعت فك عقدها، وإن امسكت بالقاتل بالتأكيد ستكون اول إنجازاتي، بالتأكيد ستكون هناك ترقية ايضاً..

يقف بجانبي عدة اشخاص:

محقق زميل يدعي (لؤي).. أثنين من التحليل الجنائي، وواحدة فقط من الطب الشرعي، منحنية ترمق مكان الجريمة من خلال العدسة المكبرة.. القاتل محترف حقا، يعرف كيف لا يترك ادلة خلف ظهره.. ولكن تلك المرة وجدنا شيئا جديدا.. دماء! .. دماء الضحية الجافة على الأسفلت، يبدو أنها قاومت واصابها جرحا ما ولكن ما يثير غيظي أنه في المرات الأربعة، لا توجد جثة! وهذا يحطم القاعدة الذهبية التي تعلمناها: (هناك جثة أذن هناك قاتل) .. ولكننا نعلم إن هناك قاتل ولكن القاتل يأخذ الجثة دوما!

– لماذا يخطفهم؟

قال ذلك زميلي (لؤي)

فأجبت بسخرية وقليلا من الغرور كالعالم ببواطن الأمور وأنا أنفث سحابة كثيفة أخري من الدخان:

- بالتأكيد ليس لوضعهم في سلسلة المفاتيح!
- أعني ان الامر غريب.. ايضاً لم يتم أثبات أنه سفاح وقاتل هو فقط يخطف.. فلماذا يفعل؟
- اعتقد أنه يعاني من عقدة.. عقدة من النساء

ان جميع ضحاياه فتيات.. للدقة هم فتيات عذارى، ربما يعاني من عقدة فعلاً وهذا أقرب للصواب، ويفسر السبب وراء اختياره للفتيات فقط.. ربما يغتصبهن او يعذبهن او فعلاً هو يقتلهن لأنه مجنون لا سبب أخر، تلك المرة وجدنا دماء الضحية لعلها تكشف لنا شيئا.. هناك ايضاً حقيبة يد نسائية، وهناك كتب ومراجع دراسية توضح أنها طالبة جامعية..

- في رأيك أين كانت ذاهبة في تلك الساعة؟ أعني بالتأكيد الحادثة تمت في الليل
- لا يهم، ربما كانت ذاهبة لصديقتها او لخالتها مثلا.. هذا لا يعنينا في شيء

كلهن فتيات عذارى، اسرهن تولول وتلطم على شاشات التيلفزيون، بالطبع امر كهذا ليس من السهل أن تخبئه عن الصحافة وعن الشارع، وحقا التمس لهم العذر، وأشعر بهم.. بالتأكيد هم يعانون الان، ولكنهم حمقى!

- « حمقى ى ى ى!! »

صحت بعصبية، وانا أشاهدهم على شاشة التليفزيون، اسرة أحدي المفقودات، لعلها الأخيرة.. وهم يبكون ويولولون..

قلت موجها كلامي لـ (لؤي):

- «أ لم أكد عليك أن تأكد عليهم بأن يكتموا على الأمر؟»
- «بالفعل فعلت، ولكنك تعلم صعوبة الأمر.. هؤلاء الناس يتشبثون في أطراف الأمل.. يعتقدون أن الصحافة قد تستطيع اعادة بناتهم»

أشعلت لفافة تبغ جديدة بعصبية محاولا جماح غضبي..

- «هكذا سيصل الخبر إلى القاتل! وبالتأكيد سيأخذ حذره – نبه عليهم مجددا.. لا نريد ضوضاء.. لا نريدهم أن يفقدوا بناتهم للأبد، قل لهم ذلك ولا تنسي»

وأنا اتفقد المكان من حولي، بالطبع لم تصور اي كاميرات مراقبة الحادث.. يبدو أنه يختار الموقع بعناية، شارع فارغ دوما.. هادئ كالمقابر.. مريب كالسراديب المظلمة.. مهيب كالموت.. عندما يكون الوقت متأخرا.. يوجد اشجار متراصة على جانبي الطريق، بالتأكيد أقرب كاميرا مراقبة لم تصور شيئا.. وإن صورت؛ فهو بالتأكيد ملثم الوجه.. اتوقع هذا من شخصا محترف مثله..

يبدو أن الأمر ليس سهلا على الاطلاق..

وجدت هاتفي يهتز كأنه يحتضر.. أتصال من (آية) زوجتي

- «الو و. ماذا تريدين يا امرأة ؟!.. ألم أقل ألف مرة لا أتصال في وقت العمل الا في حالات الكوارث فقط.. هيا أخبريني سريعا ما هي الكارثة، لأني لا أملك الوقت الكافي! هناك معتوها يختطف النساء في البلد علىَ المساك به! ماذا؟.. ماذا تقولين؟! .. تريدين ١/٨ جبن وكوبين من الزبادي! !»

«سحقا! »

* * *

عندما عدت للمنزل اخذت أفكر، وأخمن فيما هو الدافع من سلسلة الاختطاف تلك؟ ... او لعلها القتل

الأمر لم يكن بهذا الوضوح من البداية، بل كان بدون ملامح تماماً، بدء الأمر عندما اختفت الفتاة الاولى.. واسرتها كانت تنحب في كل مكان.. وعلى كل الشاشات فالأمر اليوم أسهل بكثير جداً عما كان في الماضي، غير الصحافة التي تسعي لالتهام كل شيء التهاما وبصقه للعامة.. ربما اعترف انهم مجتهدون بحق في ذلك الصدد..

أفضل من يفضحون الأمور، اوقات اتمني لو كنت صحفيا على الاقل سأكتب عن الكارثة.. سأتتبعها.. سأصور لقاء مع اسر المفقودين والمقتولين، ولكني سأكون على الهامش، خارج حدود اللعبة الخطرة.. سأكتب عن الكارثة.. ولكن لن أتتبعها! ، لست مكلفا حينذاك بالتسلل خلف قاتل مأجور وأن امسك به، ولا عن تلقي اللعنات والنعوت من رئيسي بأني تأخرت كثيراً في حل تلك القضية – وكأن الأمر سهل! – بعد فترة وبعدما فقدت اسرة الفتاة الاولى الأمل في عودة ابنتهم رغم كم الاطمئنان والامل الذي حاولنا اعطائهم اياه، والوعود بأننا حتما سنعيدها

ثمة فتاة اخري اختفت! اذن القضية الأولى ليست مسألة شخصية كما ظننا في البداية، ثم تبعتهما الفتاة الثالثة، حينها تأكدنا أنه خاطف متسلسل، وقد يكون قاتل ايضاً، وذلك ما يخبرني به حدسي بشدة.. ثم الاخيرة الفتاة الرابعة، هنا تأكدت بان تلك الفتيات –غالبا– لن يعودون أبداً.. اربعة فتيات اختفت لم تظهر منهن واحدة.. فماذا تنتظر؟!

الحق أن ما يهمنا أكثر من إيجاد المفقودات هو توقف الامر عند ذلك الحد، والقبض على المتهم في أسرع وقت، لأن الامر لا يبشر بخير.. ويتفاقم مع كل فتاة تفقد.

في محادثة بيني وبين (لؤي).. اخبرته بأن تلك الجرائم لها طابع اخر غريب، يختلف عن سائر الجرائم المشابهة..

لم يفهم ما أقصد تماماً.. فبسطت له الأمر:

- «أعني ان تلك الجرائم، او لنقل تلك المفقودات تذهب لغرض ما لربما، كيان او منظمة.. لا أعلم تماماً كيف أصف لك ، ولكن أشعر بجانب ما غير محبب في الأمر. تلك المفقودات لن تعود أبداً انا اعلم ذلك.. ولكن أمل الا يكونوا يعاملوا معاملة القرابين!»

– «قرابين؟! أنت تقرا الكثير من الروايات الخيالية صحيح؟»

بالطبع لم يصدقني، ومعه حق، فالأمر عسير التصديق، حتى انا لا أجزم بذلك، ربما لأني شاهدت افلام غريبة ليلة أمس؟! لابد من التركيز في العمل أذن وتنحية الحدس على جانب، فكما نعلم جميعا.. (لا يوجد في عالمنا ما يصلح لنتعامل به سوي الأدلة المادية.. أما الحدس هذا فأتركه لنسوة الحارات وهن يثرثرن..)

كما قال رئيسي: اللواء (سعد الدين) من قبل

تنهدت، واشعلت لفافة تبغ، بينما أجلس شاردا في المقهى ارمق الشارع بعيون فارغة.. الناس التي تمشي جيئة وايابا.. وأخرجتها من جيبي وتمعنت النظر فيها جيدا ربما يكمن الحل فيها

عليها قطرات غامقة اللون.. سرعان ما عرفت كنتها

أنها قلادة.. وليست كأي قلادة..

انها قلادة.. ليست لأي شخص كان

انها قلادة تدلي منها نجمة.. ليست كأي نجمة

قلادة تدلي منها نجمة خماسية

Figure ١ قلادة تدلي منها نجمة خماسية

***

(2)

أخذني بابا (علاء) وذهبنا إلى صديقه (سامي) الذي يعيش في ذلك المكان الهادئ دوما فقلما ما وجدت بشرا هنالك.. يعطيني خمس جنيهات في كل مرة يراني فيها.. بينما انامله تعتصر وجنتي! أخذت الجوال من بابا وأخذت اللعب به، وذهبت الهو في انحاء المكان بينما بابا وعمو يحتسيان الشاي ويثرثران في أمور سخيفة كالتي يثرثرون فيها الكبار في العادة.. دلفت للبلكونة وأنا ارمق الشارع الفارغ الهادئ، والذي يقابله زقاق ضيق إلى حد ما، نصف مظلم ونصف مستنير.. ترقد عند ناصية الزقاق تلك العربة العملاقة غريبة المنظر لعلها تسمي بـ (الونش) كما أسمعهم يقولون فتحجب جزءا من الرؤية، فتحت كاميرا الهاتف و لفت انتباهي ما ظهر في الكادر! ، رجفت له!..

ًسيارة سوداء ينزل منها شاب ويخرج سكين! تلك الادوات الخطرة كما يقول بابا أنها ليست للعب.. كانت هناك فتاة ايضاً.. وكانت مذعورة.. ورغم وجود في كل مطبخ في كل بيت درج يصلح للاحتفاظ بالسكاكين والملاعق.. رغم هذا لا أعلم لماذا وضع السكين في رقبة الفتاة! !

كادت تصرخ ولكنها لم تجد الوقت الكافي. لثم فمها سريعا.. ثم حملها ووضعها بداخل السيارة.. وتحركت وابتعدت حتى تلاشت تماماً ...

***

اسمي (علاء سالم):

الحياة شاقة يا بني.. شاقة فعلاً

ها نحن انا وبني الصغير الذي يبلغ من العمر سبعة اعوام، نمشي تحت قرص الشمس المصر على إذابة عظامنا... قدمي هلكت فما حال قدم الصغير؟ بالتأكيد ألمته ايضاً، لا يوجد ها هنا وسائل مواصلات، لذا نحن نمشيان وكأننا في الصحراء، خاصة في فصل كأغسطس يغدو النهار جحيما لا ريب فيه.. اضافة لهذا الشعور المزعج بقطرات العرق التي تنزلق زاحفة على الجسد من خلف القميص ذوي الاكمام القصيرة.. والتي تنهمر على وجهينا

هذا هو عملي، يجب أن امشي تلك المسافة حتى أخرج إلى الزحام والمواصلات والمتاجر.. رغم أن هذا يجعل الجحيم ألعن..

حملت (محمد) على كتفي، ومشيت به قليلا ثم انزلته وجلسنا على أطراف ترعة خضراء اللون كي نستريح قليلا، أخرجت من حقيبة ظهره المدرسية، زمزمية المياه الخاصة به الا أنها كانت حارة تصلح لسلق دجاجة داخلها!

نعم.. الحياة شاقة يا بني

(علاء سالم) العامل في هيئة (..)، الذي يعيش هو وابنه وحيدين بعد وفاة زوجته، لذا هو ملزم ان يربي الطفل وحده ان يقوم بدور الاب والام معا.. لا يمتلك في جيبه الا عشرة جنيهات فقط، ولهذا هو ايضاً يعجز عن الزواج مجددا، راتبه ضئيل، وحياته مليئة بالظروف والضيق..

(علاء سالم) الذي كانت لديه احلام كثيرة يوماً ما الا أنه قتلها ودفنها في عمق المحيط.. رغم بساطتها ورغم احقيته لها.. كإنسان،

(علاء سالم) الذي كره الحياة كره العمى.. والذي صار يهاب الغد كالموت.. والذي ندم كثيراً على انه أنجب وتزوج أصلا!

(علاء سالم) ببساطة شديدة هو انا!

***

تأملت وجهه الصغير الملائكي، ما زل مغلفا بطابع بالبراءة. واتسأل في وجداني: هل ستمقتني عندما تكبر؟..

هل ستصيح في وجهي قائلا إني لم أجهز لك مستقبل ولا حياة كريمة؟ هل ستكرهني و تقول ليتني ما أنجبتك؟.. هل ستصبح شخصا كريها ينظر فيما أيدي الاناس الأخرون؟ وتأتي ذات يوم باكيا لتقول أنهم أفضل منك وتتساءل عن الشيء الذي تنقصه عنهم؟، وهل ستسافر إلي الخارج

باحثا عن مستقبل لا ملامح له الا في خيالك؟ أم تهاجر في تلك الهجرة الغير شرعية وراء سراب؟ ستغرق؟! ستلعنني في لحظاتك الأخيرة؟ لأن صديقك فلان أبوه وفر له كل شيء و غناه عن مثل تلك التجارب؟ ..

هل ستترك المدرسة و تتجه للسرقة؟ هل ستصاحب الاوغاد؟ هل ستتزوج الفتاة التي سيحبها قلبك ام لا؟ ..

اراك تنظر لي وتبتسم.. ببلاهة تبتسم غير عالم بما يشغلني، وبما يثقل كاهلي، ويؤرق نومي، ويخيفني وانت الذي تظنني لا اخاف أبداً

هل الغد سيكون هو الذي اخاف قدومه؟ أم ربما كما يقولون المتفائلون أنه.. انه غدا يوماً أخر..

صغيرا انت ما زلت، واتمني لك حياة أفضل مني انا الذي احاول انا لا اموت قبل ان تكبر..

* * *

عبثت بشعره الناعم، فاحم السواد الذي يغطي حاجبيه.. وضمته اليَ..

كنت انا من احتاج إلى تلك الضمة حتما، كنا نلقي الحجارة في الماء.. حتى هدئت اقدامنا قليلا كنا ألقينا ما يقارب الـ الألف حجارة! حتى اعتقد ان الاسماك تسب لنا، لو كان هناك اسماك ها هنا غير الباسريا . .

نهضنا لنكمل طريقنا، لا لن نذهب للبيت الان، سنذهب أولا إلى (سامي) صديقي المهندس في موقع عمله حيث يعيش هناك تلك الآونة، ولك ان تتوقع الأشرطة الصفراء التي تحد الطريق، والعديد من الآلات غريبة المنظر منها ما اعرفه كالـ (الونش) ومنها ما أجهله تماماً..

لكن لا عمال، اليوم عطلة؛ فالمكان فارغ تماماً، وهادئ كالمقابر ومشمس جداً، صعدنا إلى سلم صغير حيث الشقة الخشبية المكونة من غرفتين معلقة في الهواء، مثبتة بالأعمدة الخشبية، لها نافذة تراقب منها المكان في الاسفل، طرقت الباب.. فأنفتح كاشفا عن (سامي) الذي اعتدت رؤيته بالقبعة الصفراء طوال الوقت؛ الا انه كان لا يرتديها اليوم .. فعص وجه (محمد) بين انامله طبعاً على سبيل الدلال، وكادت نظرات الصغير الحانقة تقتله! ثم دس في يده خمس جنيهات..

وجلسنا، استقبلنا وذهب ليعد كوبين من الشاي..

الولد يعاني من فرط الحركة لا يهدئ، بالطبع كمعظم الاطفال مفعمين بالطاقة، اخذ يتشقلب ويرتدي قبعة (سامي) الصفراء فوق رأسه الصغير فيغوص داخلها ويختفي كامل وجهه ويشبه حينها الأباجورة.. أمرته ان يهدئ لأن عيب ان نكسر الأثاث بينما نحن ضيوف ها هنا.. فطلب

الهاتف المحمول؛ فأعطيته اياه عسي ان يلهيه قليلا، هاتف جوال باللمس، كما يقولون بالانجليزية (تاتش) طبعاً لا أعلم لما ابتعته اصلا، ولكني قررت بيعه علي كل حال.. فأخذه وجلس يعبث به

اتى (سامي) بالشاي ووضع واحدة نحوي، فشكرته وجلسنا نثرثر..

***

فلان.. لقد تزوج! .. أ لم تعلم بعد؟،

أن اداء فريق (مصر المقاصة) في مباراة اليوم كان رائعا حقا أرأيت الولد (بيبو)؟.. كان امام الشباك وكان عليه أن يسدد جيدا الأحمق! لابد أنه لم يتناول وجبة فطوره ذلك اليوم.. هاهاها..

الحياة شاقة يا (سامي).. الحياة شاقة فعلاً..

انا غارق في ديوني وأنت كيف حال نجلك الرابع؟

أعجز عن تسديد مصروفات الوغد الصغير المدرسية.. لا.. لا.. لا يا أخي لا أشكي لك لكي تعيرني النقود!

نعم.. نعم.. اعلم نحن اخوة بالطبع.. ولكن سأردهم اليك في أسرع وقت، ثق بهذا

(عبود المنياوي) ايضاً لاعب ماهر.. أ رأيت ادائه في مباراة الاسبوع السابق؟

فلان.. أ لم تدري حقا؟ لقد طلق زوجته!

***

بينما نثرثر، نهض (محمد) واقفا، واخذ يمشي وكأنه يتسلل كنت اراقبه ولكني تركته يذهب حيثما يشاء..

دلف إلي بلكونة المبني. . أخبرته ان لا يشب منها حتى لا يلحق بوالدته– رحمها الله – !، او كي لا اصفعه!

***

ذلك الوزير الجديد في الهيئة.. لم اري اسمج منه.. رأيته اليوم هو سمينا يمتلك بطنا تحوي خروفا او عجلا لا بأس به بالتأكيد! وددت لو شققتها إلى نصفين!

- ها ها ها!

***

انتهينا من تلك الجلسة، واخذت الولد.. ودعت (سامي) ونزلت قاصدا منزلي.. اخذت منه الهاتف، نظر لي ببراءة وقال بعدما اشعلت سيجارة:

– بابا! أ لم تقل لي من قبل أن السكاكين ليست للعب وأنها خطرة؟

– نعم.. هل لعبت بسكين مجددا!؟ لو فقدت إصبعا ستحزن عليه كثيراً

– لا.. ليس انا، انه عمو.. عمو الذي في الفيديو

- اي فديو؟؟

* * *

(3)

نعيش في فيلا، وهذا كافي كي يدل على حالتنا المادية المتيسرة.. الطبقة الارستقراطية التي طالما كنا ننتمي اليها فلم نتذوق مرارة الاحتياج يوما، ولكن حقا هناك أشياء مهمة أكثر من المال.. كانت حياتنا عادية جدا حتى فترة وجيزة، او كنت اظنها كذلك حتى لاحظت ما لاحظته.. واكتشفت ما اكتشفته.. حتى صُدمت من تلك الحقيقة او لعلي أقول الكارثة؟

اسمي (داليا):

مات والداي الاثنين. وليس لي الا اخ وحيد يسمي (سمير) هكذا عشت مع (سمير) وحدنا في تلك المساحة الهائلة، الفيلا المكونة من طابقين، قد سادها الظلام وغلفها الهدوء التام.. كساها الغبار طبعاً، ولا أستبعد وجود العناكب والوطاويط هنا في مكان ما.. فكل منا في غرفته الخاصة يعيش حياته وحده،

كان أخي الصغير– الذي يصغرني بثلاثة اعوام فقط– غريب الاطوار دوما، عندما كان طفلا اعتقدنا أنه مصاب بطيف التوحد في بادئ الأمر.. ثم بدأت تظهر شخصيته السيكوباثية يوما عن يوم؛ تعلمون أولئك الاطفال المريبين؟ الذين يهشمون الاكواب دوما، ويشدون القطط من ذيلها.. وقد يجرحون أنفسهم عمدا ربما لتجربة شعور الألم فقط.. ويبصقون في كل مكان.. الصامتون دوما، ذوي النظرات الثابتة غير المكترثة، وغير الخائفة، النظرات القوية القادرة على اختراق العظام..

وإن كنتم لا تعرفون.. وإن كانوا لا يجتمعون في تلك الصفات معا، فهي اجتمعت في أخي عندما كان طفلا.

كلا ليس شخصية سيكوباتية، السيكوباتي لا يشعر ولا يحب ولا يخاف، هو مخلوق ببساطة لا يمتلك المشاعر وللعلم هناك بيننا سيكوباتيون كثيرون، ولكننا لا نكشفهم لأنهم لا ينتموا إلي القتلة والمجرمين، ولهذا يلجئون الي الادعاء.. الادعاء بأنهم طبيعيون يحبون ويتعاطفون.. لذلك نري منهم من تزوج وأنجب وعاش ومات حياة هانئة يمكننا أن نسميها بحياة هادئة.. ولكن لا أحد يدري هل فلان كان يحب زوجته حقا؟ أم انه كان يدعي هذا فقط طوال الوقت؟

عقب وفاة والدينا سافر اخي للخارج، إلى الولايات المتحدة الأمريكية وعندما عاد منها كان غريبا فعلاً وقد تغير كثيراً جداً

***

عندما أحب اخي فتاة تدعي (ديانا) ظننت أنه يدعي ذلك، ولا مشكلة في الأمر؛ فمن حقه طبعاً كأي أنسان أن يحب وأن يتلقى الحب وأن يمتلك أسرة وأطفال..

ولكنه أحبها فعلاً، كل افعاله تقول بأنه أحبها حبا ليس عاديا ولكن شخصية كتلك طبعاً لو أحبت فأنها ستحب بشكل غير عادي

***

(ديانا) بنت غير عادية ولا سيما أن هذا هو السبب الذي جعل أخي مفتونا بها..

(ديانا) بنت مريبة، غريبة الاطوار.. بنيتها الجسدية نحيلة توشي بالرقة والاحساس المرهف ولكنها حتما غير ذلك

(ديانا) لا أعلم لماذا كنت أرتجف أذا لمست يدها!

كانت تبتسم كأي أحد يبتسم.. لكن ابتسامتها غير مريحة على الاطلاق.. وكأن تلك الروح التي تسكن جسدها ليست كسائر الارواح.. ليست بشرية!

بالتأكيد (ديانا) غير أي فتاة اخري.. ولهذا لا تصلح الا أن تكون لأخي!

***

عاد أخي من الخارج بعد فترة ومضي اسبوعا في المنزل، اسبوعا رأيت فيه (ديانا) تلك ولم ارتاح لها اطلاقا، كان شكلها العام غريبا، مريبا.. ترتدي ما يقارب عشرون قرطا صغيرا في أذنيها التي ملائتهما بالثقوب! وواحدا في انفها.. وواحدا أو اثنين اخرين في لسانها!.. ثم إني لاحظت من تحت كم قميصها أطراف وشما ما! ولكنه يحبها فما دخلي انا بالأمر!

قال إنهما سيعودان إلى الولايات حيث يعيشان هناك حياتهما، بالطبع أزعجني الأمر.. ان اخي الوحيد الذي تبقي من اسرتنا ها هو ذا يريد الرحيل إلى الابد، ولكن تمنيت لهما خيراً على كل حال

عرض عليَ أن نبيع الفيلا واسافر معهما ولكني رفضت.. رفضا قاطعا، فقال كما تشائين ثم طار مع عصفورته الأجنبية تلك..

عاد بعدها بفترة، بعد ما يقارب شهرين ونصف، وقد تغير تماماً..

عاد وحده، يظهر علي وجهه الشحوب، صدمني أمر انه صار يرتدي القرط في أذنيه!.. ولكنه شأنه على كل حال.. ايضاً اكتشفت عدة وشوم في جسده، عبارة عن أشكالا هندسية، دوائر ورموز ما لم تريحني على الاطلاق.. وكان شكله الجديد غير محبب بالنسبة لي، قرر التراجع عن قراره السابق عن العيش في الولايات.. سألته وماذا عن (ديانا) ؟ وكنت انتظر الرد من قبيل انه اكتشف انهما مختلفان ولا يصلحان لبعضهما.. او ثمة خلافات ما.. او حتى أكتشف خيانتها! ولكنه قال أن (ديانا) قد ماتت!

رباه! الجميع يموتون! ولكني اعود لأقول انها سنة الحياة وإننا جميعا لله واليه راجعون حتما..

هكذا كانت صدمته اثنتين، وحزنه مضاعفا موت أبوينا الذي لم يلبث كثيراً، وموت حبيبته الغريبة.. ورغم إني قد أبدو شريرة او قاسية عندما أقول هذا ولكن وللحق لم أحزن كثيراً لذلك الأمر.. كانت (ديانا) غريبة وكانت تخيفني حقا.

***

ولو كان أخي كما ازمعنا منذ زمن أنه بدون مشاعر، فلن يفاجئني الأمر.. فهو لن يهتم وينسي كل شيء بالتأكيد.. وتلك التغيرات البشعة في مظهره ماهي الا تهور شباب واندفاع، او بسبب الفضول والأقبال على التجربة، او حتى الخداع فهو فعلاً اخرقا منه ظننت انه عدل عنه، واعتقدت انه سيعود كما كان،

ولكن لم يكن الأمر كذلك..

ولو كان أخي كما ازمعنا منذ زمن أنه بدون مشاعر.. فلماذا كنت اسمع انينه ونحيبه ليلا؟

***

حسن هناك خطب ما.. أخي لم يعتد القراءة من قبل فما هي تلك الكتب العجيبة التي يقرأها؟.. لم يكون علاقات ولا اصدقاء – لأن كما قلت من

قبل انه كان انطوائيا او لعلي نسيت أن اقول؟ – فمن هؤلاء الملاعين الاجانب؟ .. أخي لم يبكي قط في حياته .. حتى عندما توفي أبي وأمي؛ فما هو السبب القوي للحد الذي يجبر اخي علي البكاء داخل غرفته ليلا؟ !

بدأت الشكوك تملئني، وعبثت مجموعة من الفئران داخل (عبي)، صدمت من مظهره حين عاد .. و ذهلت عندما ادركت فكرة انه يبكي! .. وقلقت عندما وجدته يعرف (شلة) من الاجانب غريبو الاطوار.. توجست لأمر انه يقرأ، وطالما قرأ شئيا فهو بالتأكيد مريب.. وحينما علمت اسماء اصدقائه اصابني الذعر!

***

«مرحبا يا (بولد) .. أن الامور تسير علي نحو رائع .. لا ليس الان، أنا فعليا أجهز كل شيء، ولكنكم يجب أن تلزموا بالتعليمات التي اضعها جيدا.. لا أحد يخرج إلى الشارع.. ان شكلكم مثيرا للانتباه، و الشكوك، ثم أنه منفر وسامحوني في هذا .. مقزز ايضاً!

انا امزح يا عزيزي.. تحلي بروح الدعابة قليلا، الحوش على ما يرام.. لقد ألقيت عليه نظرة بنفسي، حقا انه لا يوجد به صريخ لأبن يومين كما

يقولون عندنا.. حقا هو نائي ومنعزل وكأنه أعد خصيصا لهذا الأمر من قديم الزمان..

انا لا زلت اقرأ في تلك الكتب، واعدك بإعادتها حينما انتهي منها، .. الي اللقاء ولا تكونوا حمقى!»

***

نعم كنت أتنصت السمع عليه.. وهذا ما سامعته جعل مجموعة الفئران تعبث بعنف أكثر! .. بعض الأشياء التي ذكرها لم تمر على مسمعي مرور الكرام..

(بولد)! من (بولد)؟! .. لم أجد احدا من قبل يدعي (بولد)!

ومن يسمي ابنه (بولد) هو فعلاً مخبول .. لأن كلمة (بولد) تعني الدم..

فمن يسمي ابنه الدم؟!

قلت لنفسي لربما هو ليس اسمه الحقيقي، ربما يدعونه اصدقائه به..

ولكن ايضاً من الذي يدعونه اصدقائه بالدم بدون سبب لتلك الكناية؟

نعم سأستمر في التنصت عليه.. يجب أن افهم، ليس فضولا ولكن توجس.. ما زلت الامور مبهمة ولكن شعوري يقول أن اخي يمشي نحو

طريق مريب للغاية أخره الهاوية او الهلاك او علي الاقل يوطئ قدمه علي بادية الطريق .. نعم يجب أن اعرف!

ماذا يفعل؟ .. وما كنه هذا الحوش الذي يتكلم عنه؟

* * *

(4)

قلادة تدلي منها نجمة خماسية!

من خلال معرفتي يمكنني القول، ألا يوجد الكثيرون في هذا العالم يرتدون تلك القلادة.. بتلك الرموز المرسومة عليها.. بتلك العلامة ايضاً؛ ثني الاصبعين في المنتصف (الوسطى- البنصر) وضمهم مع أصبع الابهام.. بينما اصبعين السبابة والخنصر! مرفوعين للأعلى

كان (لؤي) يرمقني في بلاهة فاتحا فاهه لا يفهم شيئا مما اقول .. فقال:

- **اها وماذا يعني ذلك؟ مجرد قلادة، للدقة هي قلادة كان يرتديها المجرم**
- **كما قلت ان من يرتدونها ليسوا كثيرون.. لأن لها دلالة ما، انتماء لكيان ما.. وهذا يدعم نظريتي الأولى في أن تلك الفتيات يعاملن معاملة تشبه القرابين!**
- **حسنا، وإن كان كلامك هذا صحيحا .. لربما ابتاعها المجرم من العتبة او السيدة زينب.. دون أن يعرف كل ذلك.. ولا عن ماذا تدل.. ولا كيان ولا غيره**

- اعتقد ان تلك القلادة لا تباع هكذا! .. انها مصممة خصيصا .. عليها تلك العلامة (علامة اليد) التي ذكرتها
- وعن ماذا تدل تلك العلامة؟ .. انها تبدو لي عادية والكثيرون يصنعون تلك الحركة بأيديهم.. عندك على سبيل المثال (الرجل العنكبوت) ذات نفسه!

نظرت له بازدراء وقد نفذ صبري معه .. فأشعلت سيجارة وبعد نفثتين من سحب الدخان الكثيفة، نظرت له وقلت:

- نعم هذا صحيح.. الكثيرون من الجهلاء
- حتى (الرجل العنكبوت)؟

فانفجرت في وجهه صارخا:

- لا يعنيني في شيء ذلك (الرجل العنكبوت)!.. فل يفعل ما يشاء.. تلك العلامة تعني (قرون الشيطان) انها تحاكي قرون الشيطان.. عندما توضع على تلك القلادة مع اضافة رموز ورسومات كتلك فأنها تدل على شيئا واحدا...

***

لقد قدمت لنا المفقودة الرابعة شيئا جديدا في القضية، يبدو انها قاومت معه وبيدها مزقت القلادة عن عنقه فلم يجد الوقت الكافي لاستردادها.. اضافة إلى بقع من دماءها نفسها

ربما جرحته ايضاً، وهذا ما اتمني ان يثبته الطب الشرعي، ان تلك الدماء ليست دماء الفتاة.. لو أثبت انها دماء اخري- القاتل او الخاطف بالأحرى- فعلي الأقل تلك المرة ترك لنا شيئا منه.. بل شيئين

***

وصلني بلاغ ما من محافظة (..) لا تبعد عنا كثيراً.. أحد الجيران يقدم بلاغ في جاره أنه هو من نبحث عنه

حسنا، أمرت (لؤي) بتكثيف مراقبة هذا الشخص، في حين اخذ بعض المعلومات من الجيران.. اردت ان يكون الأمر في سرية تامة كي لا يأخذ احتياطاته او يفر منا- لو كان هو- يزعمون الجيران انه غريب الاطوار، وأنه يخرج من بيته ولا يعود الا في ساعة متأخرة، وهو عازب يعيش وحيدا.. نعم انا معك في ان ليس كل العزاب غريبو الاطوار الذين يعودون لبيوتهم في ساعات متأخرة هم سفاحون او لنا ان نتهمهم بذلك، ولكن الامر هام فعلاً، ولا يجب ان نأخذ بحدسنا كما نعرف، ولا أن نتغافل

عنه تماماً، قد يكون هو ولذا أجد ان أفضل حل هو ما أخبرت به (لؤي).. وسأستدعي جيرانه لنعرف كيف هو غريب الاطوار، وما تلك الاطوار التي توجه له اصابع الاتهام في قضية كتلك !

***

هكذا تجدني في مكتبي، يجلس امامي رجلا يبدو في العقد السادس من عمره يرتدي قميص وبنطلون كلاهما باللون الأزرق مع اختلاف درجاته، و طاقية شبكية بيضاء علي شعره الأشيب، اضافة إلي عوينات سميكة نوعا، وزوجته التي ترتدي العباءة السوداء؛ هم جيران لذلك الشخص المتهم في القضية، جالسان امامي في صمت، بينما انا احاول ان ابدو مهيبا .. اشعلت سيجارة و نفثت بعض الانفاس الرمادية من الدخان بينما اتأملها .. ثم وجهت نظري وثبته على الرجل :

– هيا.. تكلم يا حاج، ليس عندي الوقت لنظل صامتين طوال اليوم! يبدو أنى نجحت في ارهابهم حتى لا يقولان الا الصدق، حيث ابتلع الرجل ريقه وجفف عرقه بالمنديل ثم قال:

– افعاله مريبة يا باشا.. يخرج في وقت العصر ولا يعود الا وقت الفجر او قرب النهار

- امممم
- ليس له علاقة بأحد من المنطقة او حتى بأحد منا نحن الجيران.. ربما السبب هو أنه حديث السكن؟

بدأت في الاصغاء، والتركيز، وقد لفت اهتمامي انه حديث السكن.

ابتلع الرجل ريقه مجددا، واستطرد:

- حديث السكن، ولا أحد يعرف عنه شيئا، ولا عن عمله ولا أين يذهب، ولا يأتي له احدا ليزوره

نفثت سحابة من الدخان، وقد لفت اهتمامي انه وحيد ولا أحد يزوره

- لا اقارب، ولا اصدقاء.. حتى ازمعنا أنه مقطوع من شجرة

تنهدت وقد شعرت بالإحباط وقلت:

- ولكن يا حاج، تلك الصفات غير كافية ابدا لأدانته بشيء! .. ما الذي دفعكما لاتهامه بجرائم كتلك؟

كان الحاج يرتجف والواضح انه لم يجرى تحقيقا معه من قبل، ولا حتى سبق له أن دخل قسم شرطة الا لاستخراج بطاقته الشخصية.. وكان على وشك ان يبتلع ريقه مجددا ويكمل حديثه ولكن انبثقت زوجته قائلة:

- نحن متابعان للقضية يا باشا منذ البداية.. علي قناة (..) حيث تعرض لنا الاخبار أول بأول، وقد أثار الامر توجسنا

ابتلعت هي الأخرى ريقها وقالت:

- توجسي انا بالذات! .. خاصة وإن كل المفقودات من النساء!
- ولكن كما قلت يا (حاجّة) ما تقولانه لا يدينه في شيء انه مجرد عازب يعيش وحيدا لا يزوره أحد.. يخرج في العصر ولا يعود الا في وقت متأخر.. ما اريد معرفته انا هو أين يكون في هذا الوقت؟ وماذا يفعل؟ .. ولكنه ليس شأنكما، انا اكرر سؤالي:

ما الذي دفعكما لاتهامه بجرائم كتلك؟!

قالت المرأة:

- نحن راقبناه يا سعادة باشا فترة لا بأس بها.. ولاحظنا أنه عندما يعود يظهر عليه الإرهاق.. وفي مرة كانت ثيابه ملطخة بالغبار.. اه والله.. ا ليس كذلك يا (عبده)؟

فرد الحاج (عبده) وهو يوشك أن يغشى عليه.. انه لا يحتمل فعلاً امورا كتلك:

- نـ .. نــعم، نعم يا سعادة الباشا .. كانت ثيابه ملطخة بالغبار– ليلة الحادثة الاخيرة! – و كان هذا واضحا من فتحة العين السحرية .. اضافة إلى مرة أخري، عاد وفي عنقه جرحا ما، او لعله كان موجدا قبل ذلك وكان يحمل...

قاطعته وقد اهتممت جداً بأمر ان في عنقه جرحا

وقلت له:

- جرحا في عنقه! ؟
- نـ نعم يا سعادة الباشا
- متي بالضبط؟
- ليس من بعيد.. كان في الأيام الاولى من بعد الحادثة الاخيرة ! -او لعله كان موجدا قبل ذلك؟ –

أشعلت سيجارة اخري، والتمعت عيناي كصياد أكتشف فريسته اخيرا .. وقلت:

- حسنا .. أشكركما جداً .. اذهبا انتما الان ولا تقلقوا سنضع اعيننا عليه، لا تظهروا له اهتمامكما.. ولا تفعلوا افعالا حمقاء

تجعله يفر منا قبل ان نتأكد من انه هو .. وسنبعث لكما حينما نحتاجكما

نهض الرجل بساقين يهتزان وإن كان يحاول ان يتماسك، وصافحته؛ ادركت فعلاً ان يده ترتجف .. هذا يؤكد لي انهما خائفين حقا، ويقولان الصدق لا غيره او ان هذا الرجل يعاني فقط من داء الاعصاب!

قال قبل ان يرحل:

- ولكن ارجوك ان تأمنونا منه، فلا نعلم من سيختار في المرة القادمة! .. ارجوك أن تنتهوا منه سريعا!
- لا تقلق يا حاج (عبده) لا تقلق .. سنقوم باللازم، ونحن مكلفين بحراستكما جيدا.. لا تقلقا
- حسنا يا باشا.. ادعوه الله ان ينصركم

وذهبا يتهامسان بصوت عالي حتى سمعت ما يقولان:

- أ لن يلقوا القبض عليه سريعا؟ .. أنا خائفة يا أخويا! . .انه يختار النساء!
- لا تخافي .. طالما بقا ذلك الوغد حرا طليقا .. لن تخرجي من باب الدار!

وكلام فارغ أخر، جعلني أضحك في الحقيقة، ولكن التمع امامي ضوء من وسط الظلام الدامس..

شخص مريب – جديد في السكن – غريب الاطوار – يخرج ولا يعود الا في ساعات متأخرة– يوم الحادثة الاخيرة كانت ثيابه ملطخة بالغبار– وكان هناك جرحا في عنقه!

هل يمكن ان يكون هو؟

* * *

(5)

(علاء سالم) العامل الكادح في الهيئة (..) الذي لا يجد في الحياة طعم ولا لون ولا رائحة.. يؤمن ان الزهور خلقت هنا فقط لتذبل، كذلك الانسان يذبل ويموت

* * *

لم أكن ناقص قرضا فوق عاتقي، ولا كنت أتمني أن اكل الربا ولكن عدد من الشيوخ الذين سالتهم عن الأمر.. قال أغلبهم أن المضطرات تبيح المحذورات.. فلا بأس طالما لا يوجد حلا أخر، (محمد) بني كان يحتاج لأجراء عملية جراحية عاجلة لانتزاع ورم ما في جسده قبل تفاقم الحالة، وقبل ان تصير حياته في خطر حقيقي؛ ورغم أنني أؤمن ان الموت هو الراحة الحقيقية وأنه لو عاش فسيعيش ليشقى، ولكن بالطبع لن احتمل موته.. خاصة وانا في يدي انقاذه

كانت العملية تحتاج لحفنة من الألاف الجنيهات، فلم يكن امامي حلا أخر غير القرض .. قرض من البنك بضمان عملي الذي اتلقى منه في العادة ملاليم ، اي اني سأموت غالبا قبل ان اكمل سداد ذلك القرض ! .. وأي ان الملاليم التي اتقاضاها ستتقلص و تتحول إلي هلافيت! .. بعضا من

القروش التي لن تغني من جوع، ولكن لا يوجد حلا اخر غير ذلك، وبالفعل فعلت وانا اعرف أنه لو– اراد الله – سيعيش لنجوع سويا! ولم أجد الوقت ولا الصحة الكافية للحصول على عمل أخر لذا ضاق الحبل أكثر حول عنقي.. لذا كنت هشا للغاية ولن امانع ان أجلب المال بطرق أخري.. طرق غير قانونية!

* * *

شاهد (محمد) جريمة قتل من الشرفة عندما كنا عند صديقي(سامي) وصورها بجوالي ذلك العفريت.. حقا أن اطفال اليوم لا يوجد شيء لا يعرفونه!

ارتجف جسدي لأدراك فكرة ان أنسان ما قتل على بعد عدة خطوات مني، حدث ذلك بينما كنا نتسامر انا و (سامي) في ترهات الحياة، عندما شاهدته أدركت أنى لست مخطئا لمقتي الشديد للبشر.. أدركت كم كان الامر شنيع!

تقدمت السيارة السوداء ببطيء ثم توقفت متوارية في الزقاق الضيق، وكأنه ينتظر شخصا ما، ثم ظهرت الفتاة التي تمشي بأمان ودلال، الواضح انها شابة يافعة تمشي ولا تعطي خوانة ولا تتوقع غدرا من أحد.. ثم خرج من

السيارة شيئا اسود! رجل عبارة عن بنطلون وقميص اسود، ملثم وجهه بلثام اسود.. يمسك بخنجر لونه اسود، تظهر عليه بعض الرسومات الغير واضحة بسبب رداءة جودة التصوير، ولم تكن يد الولد (محمد) ثابتة، كان الكادر يهتز يمينا ويسارا اضافة لعربة الـ (ونش) التي تحجب جزءا من الصورة.. ثم تظهر انامله في الكادر ايضاً! مما اثار غيظي، ولكن تمعنت النظر أكثر..

حاول ان يجرها بدون ضوضاء إلى سيارته في بداية الأمر.. الا انها قاومته، ونوت على مليء الدنيا صراخا، ذلك الامر الذي اتوقع انه لو كان انسان لأصاب ذعره، حينها لجئ لأساكتها تماماً.. اسكاتها إلى الابد! بينما هي تحاول التملص منه، وجد خنجره المثبت فوق عنقها طريقه داخلها! داخل اللحم والاوردة التي سالت دمائها، فسكتت الفتاة تماماً بينما سمعت اذني – وإن كان الفيديو بدون صوت– صوت ال خ خ خ خ المعروف، سمفونية النهاية الشهيرة التي تعزفها العنق عند جزها! لم يضيع وقتا كثيراً، حملها ثم وضعها داخل سيارته..

وانطلق ذاهبا.. اذن هو يريدها حية او ميتة! ..

او كان من الاساس يبغى قتلها؟، لا أدرى حقا، ولكن الامر اتلف اعصابي الذي كنت اظنها انتهت منذ زمن.. لفت نظري ايضاً بعض الاشياء: كانت ذراع المجرم ملأي بالوشوم حتى رقبته.. خنجره ايضاً – رغم رداءة الجودة– يظهر انه مزخرف، فهو شيئا من أثنين اما انه مجرم ولكنه مغمور بالفن.. اما أنه من ديانة اخري او جنسية اخري او يتبع اي شيء اخر لا أفهمه ولا يهمني ان افهمه على كل حال..

الأمر الثاني الأكثر غرابة هو عندما امعنت ودققت النظر داخل السيارة؛ وجدت شيء ما يجلس داخلها، او لعلي أقول كائن ما او ذلك المسخ الدميم!

لا يظهر بوضوح ولكن يمكنك ان ترى أن شخصا ما – هو إنسان على الارجح– زنجي وجهه مملوء بالوشوم، واذنه بها أكثر من قراطا، وكذلك أنفه، ويبدو أنه لو كان الذي اراه صحيحا! – أنه مشقوق اللسان! لسانه منشطرا إلى نصفين ومعلق بهما اشياء تلمع !

مسخ! .. لربما هو الشيطان ذاته كان يجلس في السيارة

وجهه رأسه نحوي ونظر لي .. طبعاً كان ينظر باتجاه الكاميرا، لحسن الحظ انه لم يري الولد وهو يصورهم

لقد استحق بجدارة لقب أقبح ما رأيت في حياتي!

شاهدت ذلك الفيديو أكثر من مرة حتى استنتجت منه كل تلك التفاصيل، بصعوبة طبعاً لأن الجودة ضعيفة نوعا ولكنها تظهر الجريمة بالكامل خاصة أنها كانت في النهار.. لقد اختار ذلك المكان طبعاً لأنه فارغ تماماً من البشر وقلما تجد أحدهم يمشي من هناك في الآونة الاخيرة.. ذلك اليوم بالذات، لأنه عطلة.. كان نصيب تلك الفتاة أن تعبر من هنا، غالبا ارادت ان تبتعد عن الزحام، وعن النشالون، والمتحرشون لتقع في قبضة هؤلاء الملاعين!

ولكني الان اطمأنت انها ارتاحت في سلام إلي الأبد، لا يهم الجسد اذن أنه مجرد عباءة تحوي الروح.

ايضاً بعد تدقيق النظر كثيراً حتى كدت أصاب بالحول الدائم استطعت أن اقرأ ارقام تلك السيارة

(س □ * – ت / ٣–٥–٢)

***

ذهبت الى (عادل) صديقي الذي يعمل في المرور، وبعدما اعطيته سيجارة طلبت منه بعض المعلومات عن سيارة (جيب) سوداء اللون تحمل الأرقام

(س- *- ت / ٣- ٥- ٢)..

تسأل عن السبب ومزح بعض المزاح السخيف.. ليس من المهم ذكره.. بالطبع لن أخبره حقيقة إني احاول الوصول لمعلومات عن سائق السيارة نفسه او لعلي اقول المجرم، القاتل.

لا أدرى حقا ما اريد فعله.. ولا أعلم لماذا اهتممت بالأمر ولكن ما زل الذهن مشتتا.. بالتأكيد سأستفيد بتلك المعلومات إن عزمت على تنفيذ ما يجول بخاطري

* * *

ما يجول بخاطري غريب فعلاً.. ولكنه لا يكف عن أن يجول بخاطري! فكرت كثيراً بينما انا أتأمل الجدران المشققة في شقتي، والتي تتساقط قطعة تلو قطعة مع مرور الزمن، وطفلي النائم في سلام ولا يعلم أن هناك مستقبلا غالبا هو اسود ينتظره.. والعشرة جنيهات اليتامى في جيب سروالي..

(لن امانع ان أجلب المال بطرق أخري.. طرق غير قانونية!)

تخيلت مشهد في رأسي:

أنا ادخل عند ذلك القاتل، في يدي الفيديو الذي يثبت جريمته الشنيعة، اساومه على المال مقابل التستر عليه.. لا يجد حلا أخر حتى لا ابعثه في داهية لن يعود منها أبداً، فيخضع لي مطأطئ رأسه، ويقول ارجوك خذ ما تريد ولكن لا تبلغ الشرطة!

اسمع قائلا يقول: وماذا عن وجهه غير المعروف؟

اقول لهذا القائل المحنك أن كان وجهه غير معروف، فتلك الوشوم التي تغطي جسده بالتأكيد معروفة، وذلك المسخ الذي يظهر داخل السيارة بالتأكيد واضح ومعروف ايضاً..

وعلي كل حال الشرطة لها اساليبها الخاصة التي تعرف جيدا أن كان هو ام لا، في كل الاحوال رفضه هو مخاطرة بالغة، لو كنت مكانه لدفعت لي ما اريد وتركتني وشأني للأرحل في هدوء!

لن أكون طماعا على الاقل سأطلب منه ثمن القرض الذي يمتص دمي كل شهر، ولعل هكذا الأمور تتحسن..

افقت من شرودي وتخيلاتي بعدما انتهت السيجارة في يدي واحرقت انامليي.. ثم لمعت أكثر الفكرة في رأسي وتوهجت.. قلت وماله؟.. أنا من معه السلاح اذن انا من يرهب!

انا من معي الفيديو اذن هو من يهلع!

وعزمت بنسبة كبيرة على تجسيد ذلك المشهد الخيالي على ارض الواقع..

وأن أجرب أن اصير وغدا ولو ليوم واحد ولكن غدا.. غدا في الصباح لأن رأسي أصبح يزن طنا من الافكار المشتتة والتخيلات العديدة السوداوية والدرامية..

غدا في الصباح أحاول تجميع افكاري.. والصباح رباح

***

ذهبت إلى (عادل) الذي أستطاع أن يجد لي عنوانه، وأخبرني متحذلقا اشياء عن كم كان الامر صعبا، وأنه أضطر إلى النزول في باطن الأرض حتى يجلبه من هنالك!

بالطبع يريد جنيهين.. فأعطيته اياهم وذهب، الان لا يتبقى الكثير، فقط ما على هو أن اذهب وأهدد، ثم أعبئ حقيبتي بالمال وانصرف

***

جلست في المقهى الشعبي العتيق؛ لأنه الارخص ثمنا.. شارد الذهن، متوجس بعض الشيء .. او متوجس للغاية!، ارشف من كوب الشاي

الملوث وأفكر.. هناك صراعا مروعا بداخلي، الضمير يهتز ويرتجف ثم يهتف مصدوما :

أنا من أفعل ذلك؟ .. كيف لم أبلغ الشرطة لإعادة حق تلك الفتاة؟!. . كيف سأضع يدي في يد قاتل حتى وأن كنت اضعها لأخذ منها رغما عنه؟!

العقل يتدخل بعصبية وقد فاض به الكيل:

الفرصة لا تأتي الا مرة واحدة في العمر يا ابله!.. من مات مات ولن يعود، لربما تلك الفتاة هي زوجته الخائنة او أخته الهاربة او عشيقته السارقة .. مالنا نحن ومال تلك المشاكل العائلية؟!، لربما هي التي تستحق الموت! لربما هو كان مضطرا لذلك؟

فيقول الضمير:

– لا يا رجل؟! .. اتصدق ما تهرطق به!

ولكني اتجاهله وأرشف أخر رشفة في الكوب، وأنهض كي استعد لفعل قد يكون أحمقا وقد يكون اقتناص فرصة العمر التي لا تعود مرة اخري..

(الفرصة لا تأتي الا مرة واحدة في العمر يا ابله!)

(لربما هي التي تستحق الموت! .. لربما هو كان مضطرا لذلك؟)

***

(6)

أخي (سمير) اصاب ذعري فعلاً.. وسلبني الطمأنينة والنوم الهادئ، اكاد أجزم على أنه يتحول لمسخ ذميم!

* * *

عبثت في هاتفه، ووجدت اسماء اصدقائه الجدد غريبة جداً، (بولد– لوفر)، و(سن– اوف– ساتان) وهاذان اسمان معناهم غير مطمئن:

أحدهم يدعي محب الدم! – بالطبع هو (بولد– لوفر) – والأخر معناه أبن الشيطان! ، وتلك الاسماء على حسب علمي غير شائعة في أمريكا، او لا أحد يستخدمها في اي مكان اخر في العالم.. الا إذا كان لسبب ما، كان هناك اسمين أخرين ولكنهم عاديين:

(سيفاك)، و(اركون).. أحدهم يطلق على صاحب العيون السوداء الكحيلة واحدهم يدعي القائد

تلك هي شلة الملاعين او المعاتيه اذن الذين تبنوا اخي، وسلبوه وصار فردا منهم، فقط ينقص ان يغير اسمه هو الأخر ليكون الملعون للأبد!

* * *

بدأت اتجسس عليه كما لم أفعل من قبل طيلة حياتي، اتنصت على مكالماته الهاتفية المريبة – ولحسن الحظ أنى كنت أجيد اللغة الانجليزية–، حاولت استكشاف الكتب الغريبة كلما غاب عنها لكنه لم يمهلني الفرصة، اصاب ذهولي، وبغضي منظره الجديد المنفر.. اوشام عديدة على جسده، وشربه للخمور! لقد فسد اخي تماماً وسقط في مستنقع الا عودة علي ما يبدو

* * *

كان عندنا عددا قليلا من العاملين في الفيلا، منهم الطباخين، وعمال النظافة، وأخرين، الا أن أخي طردهم جميعا، وقال إنه يحتاج إلى هدوء ووحدة في تلك الآونة، وقال إن كان يضايقني الأمر فسيترك لي المنزل برمته؛ ذلك الامر الذي لم اصارحه أنه صار محببا بالنسبة إلي!

كان يخرج من المنزل ولا يعود الا في اوقات متأخرة، وكان يترنح ولا يقوي على اصلاب طوله، ظننت انه يسهر في الملاهي الليلة ومثل تلك الأمور..

لقد رأيت واحدا من اصدقائه وأدركت أن أسمه ليس أبشع من منظره! ، أنه لا يطاق! وأسم على مسمي فعلاً..

(سن– اوف– ساتان).. (ابن الشيطان)، زنجي البشرة، يرتدي اقراطا كثيرة في وجهه، وجهه الذي لم يتركه خاليا من الوشوم التي ملئت جسده، وما اصاب ذعري هو عندما رأيت لسانه، لقد أخرجه لبضع ثواني فقط، ولكني أقسم على أنه يمتلك لسانين! او لسان وتم شطره إلى نصفين! ..

وذلك ما جعل ظنا ما يجول في خاطري ويؤكد عليه أخي واصدقائه في كل مرة، رغم حرصهم على الغموض..

استقلوا سيارة سوداء اللون من النوع التي تسمي (□يب) لا ادري لماذا رغم اننا نملك سيارة غيرها، ورأيتهم ينزعون عنها النمرة!، ذلك الأمر الذي اثار شكوكي و ملء رأسي بالأسئلة .. خرجوا بها أكثر من مرة وعاد أخي منهكا..

ما جعلني أتسأل ايضاً، هو ارتداء أخي ذات الثياب في كل مرة يخرج فيها ويستقل تلك السيارة، وهما بنطلون وقميص اسودان كالكحل؟! ..

ذات مرة تعطلت سيارته تلك فأضطر حانقا إلي الذهاب بسيارتنا، كأنه موعد لا يمكن تأخيره وكان معه ذلك المسخ (سن– اوف– ساتان)! ..

وعندما عاد لفت نظري عنقه المجروح كأن أظافر أحدهم نشبت في عنقه

باغية تمزيقه! ، ولا اعلم سبب شعوري بأنها اظافر فتاة! – وذلك يدعم نظرية الملاهي الليلة، بل وقضاء الليل مع العاهرات ايضاً– او إن كان غير ذلك فماذا قد يكون السبب؟

اصبحت انا في ذروة القلق، والخوف، ولا أدرى ما أفعله خصوصا وهو يتطور للأسواء كل يوم، حيث أنه ملء جسده بالوشوم هو الأخر حتى اقترب ان يتحول هو الاخر بدوره إلى مسخ، فقط ينقصه شق لسانه إلى نصفين، ووضع قرطا كبيرا في أنفه كالبقر!

***

ظننت في البداية، أن كل ذلك هو تأثير (ديانا) عليه، حيث كانت هي الأخرى ذات شكلا، وطابعا غريبا.. بدأت أشك في سبب موتها، ربما لم يكن حادث كما اخبرني أخي؟، ولكن لماذا يكذب في هذا الصدد؟ .. لا أدرى ولكنه مجرد حدس..

المهم انني بدأت استشف أنها ليست صاحبة كل ذلك التأثير، ولكنها كانت فردا من تلك المجموعة الملعونة، فردا مهما بالتأكيد، وحتما كانت هي بوابة دخوله اليها، ولكن ماذا انا قادرة على فعله؟.. كيف ادري إلي

اين يذهب؟.. وماذا يفعل؟ .. وهل من الصواب أن أخبره أنى لا ارتاح له ولم أعد احبذ وجوده في حياتي؟

***

عندما غادر، عبثت في غرفته وحاجياته.. غرفة مظلمة تماماً، اشعلت الضوء، وبدأت استكشفها.. كانت غريبة!

وقذرة.. رائحة العطن تفوح منها، وجدت صورا معلقة تجسيدا للشيطان، وشموع حمراء، ورقم (666) المعلق علي الجدار..

فتحت الدرج لأجد قلادة تتدلي منها نجمة خماسية، محفور عليها رسوما ورموزا؛ يبدو انها صناعة يدوية بسيطة.. وقناع اسود، وخنجر اسود مزخرف بالرموز المتشابهة ايضاً..

وبدأت اطالع الكتب، بيد ترتجف من الذهول والصدمة والقلق، واكاد اسمع قلبي وهو يضخ دمائه بجنون، اتصفحه وقد تأكدت ظنوني وشكوكي! اصاب عقلي الشلل لبرهة..

ثم سمعت صرير الباب الذي مزق اعصابي اربا!

فالتفتت!

رأيت اسوء نظرة رأيتها في حياتي، بعينين حمراوين، غاضبتين!..

رأيت أخي (سمير) يقف خلفي، والواضح انه لا ينوي خيراً وغير مستعدا للتفاهم!

* * *

(7)

مازالت المراقبة مستمرة، علي المدعو (على جابر) ..

الرجل غريب الاطوار، الذي يخرج ولا يعود الا في اوقات متأخرة ليلا، الذي يتوجس منه جيرانه فقاموا بتقديم بلاغ بأنه السفاح اللعين..

نراقبه منذ ذلك الوقت، ولم يقع في الشرك بعد.. ربما ليس هو فعلاً، وذلك احتمال وارد جداً، رغم أنى تمنيت أن يكون هو حتى ننتهي، ولكن لا يمكننا القبض على شخص برئ، لأننا نفشل في القبض على السفاح الحقيقي!

***

اتاني اتصالا من (لؤي)؛ يقول إنه هناك اشياء جديدة يجب ان اراها بنفسي، بالطبع من دوني لا يستطيعون فعل شيء ابدا..

اشياء من اي نوع؟، تقرير الطب الشرعي.. حسنا.. ذهبت إلى هناك، جلست إلى مكتبي اداعب شاربي، وأشعل سيجارة، بينما اطالع التقرير الذي بالتأكيد اضاف جديدا..

قال تقرير الطب الشرعي ان قطرات الدم الجافة تلك– عندما وجدناها كان الزمن المار على الجريمة هو بضع سويعات فقط لا تتخطى ال ١٢ ساعة..

اي أن وقت الجريمة كان في مساء اليوم، او قت الفجر ثم أتينا نحن في الصباح التالي

لم تكن قطرات الدم تلك للسفاح طبعاً كما كنت اتمنى، ذلك الأمر ما أحبطني وجعلني أشعر بأنه فر للأبد! .. او حتى حين اشعار أخر، بجريمة أخرى جديدة..

ولكني تذكرت شيء حينها!.. أخرجت من جيبي القلادة، و وجهتها نحو (لؤي) وقلت :

- وماذا عن تلك؟
- وماذا ستقدم لنا؟
- ستقدم الكثير، إن كان ما أريده وأتوقعه حدث!

قلت له أن يبعثها للطب الشرعي، كي يعرفوا هل قطرات الدم الجافة على تلك القلادة هي نفس فصيلة الدم الاولى؟!

***

كانت القلادة عليها قطرات غامقة اللون، قطرات ظننت انها دماء، ولذلك حرصت على الاحتفاظ بها كما هي، دون ازالتها

ظننت أنها لن تفيد في شيء طالما أخذوا عينات اخري، ولكن الان يلفت نظري شيء أخر..

تلك قلادة مكانها العنق.. وانا اقسم ان السفاح كان يرتديها في عنقه وقت الجريمة.. لذا لو حدث وكانت تلك الدماء تختلف عن تلك الدماء..

بالتأكيد تلك هي الاضافة حقا!

(على جابر).. يذهب من بيته إلى عمله في مصنع ملابس، هذا مبرر خروجه في موعد العصر– وقت الوردية الليلية– ولكنه ينتهي في الثانية عشر.. يذهب إلى ملهي ليلي حتى الفجر، او حتى يصبح النهار التالي– هذا يفسر الإرهاق الذي يبدو عليه أذن– انه رجل شقيان بحق! ، ولكن هذا لا يهمنا على العموم..

هكذا هو ينام لعصر اليوم التالي ليعد ذات الكرة، ذلك هو خط سيره في الايام السابقة.. لاحظنا أن عنقه مجروح، وكأن مخالب ما نبشت به بعنف! ، ذلك السؤال الذي يدور في ذهني، والذي سيجيب عليه تقرير الطب الشرعي الخاص بالقلادة..

لا اعلم صراحة، هل هو السفاح ولكن أخذ حرصه جيدا؟، هل يعلم اننا نراقبه فبدأ في أخذنا في طريق اخر يبعد عنه الشكوك حتى نتركه من ثم نسمع خبر المفقودة الجديدة؟ ام أنه هو السفاح ولكنه قد انتهي تماماً من جرائمه؟ .. – ام وهذا ما يقلقني– ليس هو السفاح فعلاً ونحن نبحث وراء الشخص الخطأ!

اتذكر كلام الحاج (عبده)، وزوجته:

– (كانت ثيابه ملطخة بالغبار– ليلة الحادثة الاخيرة!)

لم نجد ثيابه ملطخة بالغبار وهو خارج من عمله، أي انه على الارجح ليس عامل نظافة، او يفعل ما يتطلب ذلك..

في (ليلة الحادثة الأخيرة!)

(ما الذي دفعكما لاتهامه بجرائم كتلك؟!)

– (نحن راقبناه يا سعادة باشا فترة لا بأس بها.. ولاحظنا أنه عندما يعود يظهر عليه الإرهاق.. وفي مرة كانت ثيابه ملطخة بالغبار.. اه والله.. ا ليس كذلك يا (عبده)؟)

***

ما نريد معرفته الان هو، أين كان ليلة الحادثة الأخيرة؟

وماذا كان يفعل؟.. ولماذا كان ملطخ بالغبار؟.. وما سبب ذلك الجرح في عنقه؟

يمكنه ان يدعي انه سقط وتعرقل في الشارع، ولكن ماذا عن الجرح؟ وهل كانت تلك مصادفة.. ان يكون يوم الحادثة بالذات؟

***

ذلك نفس الكلام الذي قاله لي (لؤي)، بعدما قلته أنا لنفسي.. ولكن لابد من التحقيق معه على كل حال؛ لنعرف اجابات أسالتنا، وحينها اعتقد ان الحقيقة ستظهر بعض الشيء، فلو كان هو السفاح فأنه بالتأكيد يمتلك اعصابا من حديد، ولكني سأحول تجربة اسلوب جديد يجعله يبلل سرواله..

وهكذا شرعت في ذلك.. تجدني واقفا وجواري يقف (لؤي)، اطرق الباب كما يطرقه أي شرطي يحترم نفسه، تلك الطرقات المفزعة التي تخبر الشخص بالداخل، ان من ينتظره خلف الباب هم البوليس، وكذلك هي طرقات تحذيرية تقول لا تفتح لهم ابدا؛ حتى وإن كنت غير مذنب!

وكذلك هي طرقات تهديدية تقول: افتح يا ابن الزنا!، لأننا شرسون ولا نرحم! وسنمسك بك اينما ذهبت!

طق! .. طق!.. طق!

أنه وقت العصر اذن، اي انه من المفترض ان يكون بالداخل يتأهب للنزول إلى عمله بالمصنع،

طق! .. طق!

– لربما هو ما زل نائما؟

قال ذلك (لؤي).. وكانت اجابتي ان الموتى يكادون يستيقظون من تلك الطرقات!

طق!!

قال مجددا، رأي عبقري اخر

– هل نحطم الباب؟

– بل..

هنا انفتح الباب اخيرا، وظهر منه (على جابر)، بعينين شبه مغمضتين يفركهما بيديه، والمنشفة على كتفه، ويرتدي البيجاما!

هكذا واضح انه كان نائما، وانه ايضاً ينام كأهل الكهف!، تسأل بالطبع عن كنتنا، وهو لم يفوق من عالم احلامه بعد، ولا تزال اثار النعاس على وجهه.. قلت في وجداني

- هه! طبعاً، يجب ان تكون (نمسيته) كحلية! من شقاء الأمس!

وابتسمت بخبث

قال وقد بدأ يستجمع تركيزه:

- من انتما؟، وماذا تريدان؟
- فأشهرت ببطاقة الهوية الخاصة بي في وجهه بكل ثقة، واكملت بابتسامة المنتصر.. اننا المباحث
- مباحث!! و. وماذا فعلت يا باشا، أنا رجل اعيش في حالي؟!

جذبته من بيجامته من منطقة الكتف وانا اقول:

- نعم، نعم.. سنعرف هذا في مكتبي

توسل لي ان أمهله بضع دقائق حتى يقوم بتبديل ملابسه، وعلى مضد سمحت له بذلك، وانا أشهر مسدسي في وجهه محذرا، ومهددا له بالويل أن فكر في الهرب..

- إن فكرت في اي فعلاً أحمق.. فسأفرغ تلك الخزنة في رأسك!

بالطبع ارتعب مني، وأدرك أنى لا امزح بتاتا، وهكذا نجح اسلوبي وحققت مرادي من اخافته!

رغم أنى وللحق، عندما رأيته شعرت بأنه ليس من نبحث عنه، لقد رأيتهم كثيراً، واعرف المجرمين من النظرة الاولى، ولكن لا بد من التحقيق معه كما نعرف..

أخذته انا و(لؤي) وانطلقنا بالـ (بوكس) قاصدين مكتبي

***

في مكتبي..

كان يجلس على كرسيه، وانا أحوم حوله عاقدا ذراعاي كنمر شرس داخل القفص يحوم حول فريسته، ماط شفتي وارسم على وجهي ملامح الغضب والقسوة..

ثم جلست بعدما تأكدت انه صار مستعدا للاعتراف بأي شيء، وسألته، بعدما اخرجت من جيبي علبه السجائر:

- سيجارة؟
- العفو يا يباشا! لا اري..
- هل تدخن!؟
- نـ نعم!

- أذن خذ سيجارة

وقذفت بالسيجارة اليه فتناولها.. ثم دسست واحدة في فمي، ونظرت له صامتا، وبعد نفثتين من الدخان السام، اردفت:

- أسمع يا (على).. نحن لا نريد الا بعض الإجابات عن أسالتنا، ولا نريد الا الحقيقة، الحقيقة وحسب.. لأنك لو فكرت في قول غير الحقيبة فلا تلومن الا نفسك!
- أقسم بكل الأقسام على ان اقول الحقيقة يا باشا!
- حسنا، رائع.. هكذا انا اكون ودودا

بدأت أوجه له الاسئلة التقليدية من نوع اين كنت في اليوم كذا ؟، والساعة كذا ؟، وماذا كنت تفعل؟، او مع من كنت؟، تلك الأسئلة التي ظننت أنى لن اسألها ابدا في تلك القضية الصعبة، المبهمة.. ولكن ها هو ذا المشتبه به الأول،

اين كنت في يوم كذا – يوم الحادثة الأخيرة بالطبع – ؟

- كنت في عملي ككل يوم، ثم اذهب إلي...
- اعلم.. اعلم، الملهي الليلي
- فقط يوم روتيني اخر، و.

صحت وانا أفاجئه بالسؤال كي يعجز عن التلفيق:

- سؤال!

حاولت تضيق عيني قدر المستطاع، بينما ابرم شاربي وسألت:

- لماذا كنت عائدا للبيت بثياب ملطخة بالغبار يوم كذا؟

فحاول استجمع افكاره واعصابه وأردف:

- اجابة بسيطة.. في ذلك اليوم دفنت والدي!

صحت مجددا لذات السبب:

- سؤال!

نهضت، وعقدت ذراعي مجددا، ووقفت خلف ظهره، وراحت يدي ذهبت لتزيح ياقة قميصه.. هنا رأيته، فابتسمت بسخرية، تلك الابتسامة التي تقول: هه لقد كشفت!

- وماذا عن هذا الجرح! هل تلك اظافر فتاة؟ اليس كذلك؟

بتوتر قال:

- ليست لها علاقة بأي فتاة

- اهاا ! .. سنبدئ الكذب أذن؟

ذهبت يداه تعبث في عنقه.. وراح يحكها ثم يزيد من خشونة الأمر، فاستغربت من ان تصل الحكة لتلك الدرجة من الجنون والشراسة

- انت من تجرح نفسك!
- أنها.. انها الحساسية الجلدية!

ابعدت يدي عنه سريعا كمن قرصه عقرب..

- خسئت! ولماذا لم تقل من البداية؟
- انت لم تمهلني فرصة

حسنا.. عدت لمكتبي وجلست، ثم نظرت له نظرة اخري بعيون ضيقة، شبه مغلقة..

اخرجت صورة القلادة من جيبي – بالطبع لأن القلادة نفسها مع الطب الشرعي الان– دنوت منه واشهرتها امام وجهه، وقلت متسائلا:

- وماذا تعرف عن هذا؟

نظر لها، وتمعن.. ثم نظر لي وقال

- لا اعرف عنها اي شيء اطلاقا! ولكنها تبدو غريبة.. وكأن من يرتديها هو من اولئك.. عبدة الشيطان والعياذ بالله!

(8)

(علاء سالم)، المقبل على فعل دنيء، وقد يكون أحمقا، واخرقا ايضاً.. ولكنه مضطر ويرجى المعذرة!

* * *

لم أعزم بعد على ما فكرت فيه مرارا.. لكن كنت قابع في منزلي فاقد الشغف لأي شيء، لقد نفذت بقايا العشرة جنيهات في وجبة أمس.. والان تعلن معدتي الفارغة تذمرها وتعتصر احشائي غضبا، ولكني اتحمل الألم، وأصيح بها

اصمتي! اصمتي!

الا تعلمي ألا يوجد معنا مال كي أملئك بالطعام؟!

الا تعلمي ان الوقت الان متأخر ولا يوجد من أذهب اليه واستغيث؟!

اريد النوم، واحتاج النوم، واتمني النوم، ولكنه يأبى أن يأتي.. فالتفكير يشغل مساحة لا بأس بها من العقل تجعله في حالة من النشاط اقرب للهلع، فلا يوجد منفذ للنوم الان .. ولكنه حتما سيأتي، وانا انتظره بشوق

التفكير يلتهم عددا لا بأس به من السجائر، ولكنها نفذت ايضاً..

استيقظ طفلي من النوم، يمسك بطنه الصغير، ويقول

- بابا! انا جائع، لا أستطيع النوم!

بابا، اخر وجبة كانت غذاء الأمس.. وكانت الوحيدة

بالطبع يجب أن يتصرف الـ بابا، ولكن ماذا يفعل؟!

***

لا يفعل الا أنه سينزل للشارع في الليل، ليمشي ولا يدري أين يذهب لربما يجد حلا، ولربما يعود ليجد الطفل قد نام

ولقد فعلت، نزلت للشارع ساخطا على كل شيء، اركل كل حجرا اقابله.. ألعن كل مسئولا، وكل مديرا في الهيئة.. أمقت الفقر، والحياة، وأندم على الانجاب، والزواج!

الوقت متأخر؛ ولكن لا يوجد حل أخر، ذهبت إلي بيت (سامي) صديقي هو الوحيد الذي أستطيع اقتراض بعض النقود منه وهو الذي اعتاد ذلك الامر.

ولكني لم أجده هناك، أخبرني البواب أنه سافر بعدما انتهي من عمله في الموقع الشؤم ذلك، سافر إلى محافظة أخري.. وهكذا ضاقت الدنيا أكثر، وضاق الحبل حول عنقي أكثر وأكثر!

وكأن كل الطرق أغلقت حتى تفتح طريقا واحدا لا يوجد غيره..

الهاتف! ، فكرت في بيعه ولكن ما عزمت على فعله كان غير ذلك..

الطريق الوحيد وهو العنوان الذي أخذته ودونته في ورقة ووضعتها في جيبي ولم اجسر على الذهاب اليه بعد؛ لأني أدركت أن الامر ليس بتلك السهولة التي كنت اتخيلها..

ولكني قد اتحمل جوعي وألمي الخاص، ولكن أبداً لا اتحمل جوع وألم طفلي الوحيد!

عرفت أن أبن العاهرة يسكن في فيلا.. يسكن في فيلا ويقتل في خلق الله!

وذلك كان الطريق الوحيد الذي سأسلكه

***

بساقين مرهقتين يخترقهما الهواء أمشي نحوها، واتأمل شكلها، وحجمها، وعلوها.. كما شاهدتها في الأفلام من قبل، الفيلا مكونة من طابقين، وقد أدهشني انها شبه خاوية، هادئة فعلاً، ولا يوجد بها عمال؛ وذلك كما هو طمأنني فهو بنفس القدر اثار توجسي..

ضوء وحيد ينبعث من إحدى الشرف بالأسفل؛ هكذا علمت ان أحدهم مستيقظ حتى الان، وتمنيت ان يكون هو الذي اريده..

دلفت للداخل كأنما أوطئ قدمي في بيت اشباح!

لا يوجد أحد يعترض طريقي ويسأل عن وجهتي، وماذا اريد؟، ومن انا؟ مشيت في الحديقة وانا اقترب اكثر، وبدئت اسمع كلمات بدون معني، او كانت كذلك بالنسبة لي .. كلمات غير عربية على ما يبدو، وهذا قد يكون عائقا فعلاً، لو كان القاتل لا يجيد التحدث باللغة العربية، ولكن لا مشكلة، الفيديو سيجعلنا نتفاهم، فقط اعرضه امامه ثم أقول له:

- ماني! (money)

الكلمة الوحيدة التي اعرفها بالانجليزية ..

اقتربت أكثر حتى التصقت بالباب، وطرقته ففتح لي الباب شخص ابيض البشرة يعاني من الشحوب، عينيه حمراوين و- اهم علامة بالنسبة لي- الوشوم كانت تغطيه علي ذراعه حتى رقبته .. هو لا يعرفني، وانا لا اعرفه، ولكن حاولت تحليل صورته في رأسي، ومقارنته بالشخص الظاهر في الفيديو ..

الجسد هو الجسد، الطول والوزن تقريبا واحد .. الوشوم هي الوشوم .. ولا يهمني أن اقارن بين الخنجر والقناع! اما عن وجهه هذا الذي يشبه مصاصين الدماء، فلم اراه من قبل .. تلك العلامات اظنها كافية

تسأل عن كنتي، ومن انا وكان يتحدث العربية

فأجبته:

– سنتحدث علي الباب؟! .. أ لن ندخل لنتفاهم في الداخل؟

فنظر وراءه، وكأنه يتأكد من شيء ما، ثم فتح الباب اكثر كأنما قال ادخل .. فدخلت، وعندما دلفت للداخل وجلست علي الأريكة.. كان المكان يغلبه طابع مريب.. الهدوء والظلام؛ لربما بسبب أن الوقت متأخر.. لفت نظري اكواب تحوي بقايا سائل ما احمر اللون، علمت انه نوع من انواع الخمور .. ووضعت احتمالا أن يكون مخمورا وليس في كامل وعيه، وتمنيت أن يكون ذلك في صالحي

وجلسنا، وكان يبدو انه ضيق الصدر، وعصبي بعدما نظر لي هنيهة قال:

– هاا، ماذا تريد؟ ارجو ان تسرع!

فابتسمت، لا اعلم لماذا ابتسمت ولكن الموقف يتطلب ابتسامة خبيثة، ربما ابتسامة سخرية من هؤلاء الحمقى الذين يتعجلون للمصائب..

من دون ان انبث ببنت شفة، أخرجت الهاتف، وفتحت فيديو الجريمة ثم وضعته امام ناظريه، وراقبت تعبيرات وجهه، واتساع حدقة عينيه.. وكانت ابتسامتي تتسع خبثا وسخرية..

ثم نظر لي، وقال :

- وماذا تريد؟

- ماني!

***

كان أذكى من ان يجادل، ويقول ترهات فارغة مثل وجه ملثم ولا يظهر في فيديو الجريمة، او كيف عرفت انه انا؟.. او كيف عرفت عنوان منزلي؟.. رغم اهمية السؤالين الاخيرين.. ولكنه كان على قدر كبير من الثبات الانفعالي بعدما شاهد الفيديو، وماذا انا اريد؟

حفنة من الالاف الجنيهات على اقل تقدير أسدد بها القرض الذي يمتصني دوما، أبتاع بها طعاما لابني، أوفر على الاقل أقل الاحتياجات الأدمية..

قال سؤالا متوقعا:

- وكيف تتأكد بأنك ستخرج من هنا حيا!

فأجبت اجابة متوقعة:

- كما تتأكد انت أن القاتل في الفيديو هو انت!

كما تتأكد أن الشمس سوف تشرق غدا– بأمر الله –، وإن الليل سيأتي، وإن الكلاب ستنبح والذئاب ستعوي

- الواضح أنك وضعت تخطيط لا يخر منه الماء
- بالضبط

كان كما قلت انه أذكي من ان يجادل ف ترهات فارغة.. فهو يعلم إني اعلم ما قد يحاول فعله، ويعلم إني أخذت حرصي منه جيدا وأمنت نفسي، الا وإذا كيف قدرت قدمي على حملي إلى ها هنا عند قاتل مثله، دون أن أكون مأمن نفسي جيدا؟

قلت مبلغ من المال ولكنه قال – كما يقولون جميعا أنه ليس في حوزته الان، وان يكتب لي ورقة أصرفها من البنك فهو أمرا أفضل.. ولكني رفضت كما يرفضون جميعا لعدم الثقة المتبادلة بيننا..

(لمحت على الطاولة صورة شخصية له، فسرقتها دون أن يشعر؛ لشعوري إني لربما احتاجها فيما بعد)

أخذت منه بعض (رزم) المال التي كانت في الخزينة، اضافة إلى ورقة بباقي المبلغ، هذا بعدما حذرته إني امتلك نسخ أخري من الفيديو، وقلت محذرا ومهددا:

– بالتأكيد انت لا تحبذ أن يشاهدها البوليس؟

قال وهو يمد لي يده بحقيبة المال، وينظر لي نظرات حادة كالنصول:

– ولكنك تسرقني!

فقلت له:

– أعذرني!

ارجو ان لا تحاولي قتلي، او اي امورا حمقاء اخري، لأن هناك صديق عزيز يجلس امام الساعة الان، وإن مرت ساعة كاملة بدون عودتي، فسيخبر الشرطة التي ستطوق عنقك بحبل لن تحبه – بالطبع كما يقولون جميعا–

هكذا شممت رائحة الشياط تنبعث منه! ، كان غاضب كثور ولكنه جامح لغضبه، وهنا كان مالي – الذي أصبح مالي–

بين ذراعي، فكان يجب ان اغادر او أفر قبل ان يفقد اعصابه او حتى أن يكون مجنونا ويتهور..

وخرجت من عنده، أحتضن حقيبة المال، وشعرت بشيء بارد، سائل، ولزج ينزلق زاحفا يسيل على شفتي..

ربما كان لعابي

(9)

كان يظهر وسط الظلام كأنه الشيطان نفسه، بشرته الشاحبة كأنها مغطاة بطبقة من الدقيق، وعينيه الحمراوين كعينين من الدماء، ورائحة الكحول التي تفوح من فمه، والوشوم، والاقراط التي تزيد ملامحه بشاعة، وتزيدني منه رهبة ونفورا.. لقد تحول لمسخ فعلاً! ، ولا استبعد ان يلتهمني ها هنا او يقتلني حتى! انا الفضولية، المتطفلة التي تعبث في غرفته وحاجياته

امسك بذراعي بقسوة، وضغط بأنامله يعصرهما، وقال:

- ماذا تفعلين؟

ابتلعت لعابي، وحاولت تثبيت نبرة صوتي المرتجفة وأنا اقول محاولة اختلاق كذبة ذات حبكة جيدة:

- لا.. لا شيء، لا شيء! . كنت.. نعم! كنت ارتب غرفتك تلك التي وجدتك مهملها، كان هناك فأرا، وكنت أبحث عنه! .. ذلك كل شيء

فأنزل يده عني وتركني، ثم أمسك بالقلادة، والقناع الذي لاحظ خروجهما من الدرج، ووجدهما في مكان غير مكانهما؛ ما يؤكد إني كنت أعبث بجد! ابتسم من جانب فمه، وقال:

- تلك الاشياء، هي مجرد زينة او ديكور فقط
- نعم.. نعم، لقد فكرت في ذلك ايضاً !

واتجهت للخروج من باب الغرفة، وقد تحول جسدي لقطعة من الهلام المرتجف .. فناداني :

- (داليا)!
- ماذا تريد مجددا؟
- هذه أخر مرة تدخلين غرفتي، وتعبثين بأغراضي
- حسنا، وهو كذلك
- (داليا)! !
- مـ ماذا؟!
- احتمليني تلك الايام، فأنها قد تكون الايام الاخيرة!

لم أرد، وخرجت متجهة لغرفتي، والجملة الأخيرة التصقت بعقلي ولم أفهم معناها.. الايام الاخيرة! ماذا يقصد بتلك الجملة ؟، هل سيترك

المنزل برمته ويغادر؟ ام يقصد الحياة ذاتها؟ وهنا ارتجفت! ولو كان يقصد الحياة ذاتها، فحياة من يقصد؟!

***

لن اندهش مجددا، ولن اتعجب من تصرفات اخي بعد ما رأيته عنده، وتأكدت منه.. هه زينة وديكور!؟ .. يظنني حمقاء اصدق ذلك الكلام، بالفعل انا مثلت دور الحماقة حتى أهرب من قبضته، ولكني لست كذلك أبداً، ربما اتخلى عن تواضعي حين اقول انني قرأت عددا من الكتب لا بأس به، فمن الممكن حسباني ذو ثقافة لا بأس بها..

ما طالعته في ذلك الكتاب المهترئ، اصفر الورقات، اثار رعبي للغاية! كانت تلك الصفحة تحديدا، تتكلم عن (الشرير الاعظم)! وتشرح كيفية استحضاره، وكيف كانت تعقد في فترة التسعينات جلسات استحضاره في قصر البارون ٢ ..

اضافة لتلك القلادة، وذلك التغير الجذري في شكله، وشخصيته.. اضافة إلى اصدقائه ذوي الاسماء المريبة يتأكد ظني تماما، وارتعب أكثر!

---

٢ حقيقة

***

لن اندهش مجددا، ولن اتعجب من تصرفات اخي.. لأنه لا يجدي نفعا!

لازالت المكالمات المريبة التي لا افهم مقصدها تماما، مع أخي، ومازالت اتنصت عليه لعلي افهم شيئا

لقد حضر ذلك الملعون (سن– اوف– ساتان) !، مجددا رغم إني لم اتبادل معه الحديث من قبل مطلقا، لا أطيق قدومه ولا النظر اليه.. من الوهلة الاولى تحسبه عفريتا، ومسخ عليك الا تنظر في وجهه، تلك المرة كانت في الليل، حيث حسبني أخي نائمة، كنت في غرفتي بالأعلى، وكانا يجلسان بالأسفل يحتسيان مشروبا احمر اللون، لوهلة حسبتهما يحتسيان الدم!

..

كانا يتحدثان بالإنجليزية طبعاً، ولأول مرة اسمع صوت ذلك المسخ (سن– اوف– ساتان)، كان أخي يخبره أن عليه المغادرة سريعا قبل استيقاظي– لا يعلم إني رأيته مرارا عندما كنت اتجسس – بعدما قال له بعض المعلومات الواضح انها مهمة للغاية..

لقد قال أنهم اقتربوا!.. قال إنه في الايام المقبلة!

قال إن الأرض ستشرب حتى تروي ظمئها! وبالطبع كلام لن نفهمه ولكنه غير مطمئن كما يبدو!

***

طرق الباب عدة طرقات، وكان واضح عليهما التساؤل، نظرة (سان- اوف- ساتان) تقول:

- هل تنتظر أحدهم؟

فتقابلها نظرة أخي التي تقول:

- لا أنتظر احدا!

وذهب أخي وفتح الباب، وكان يتحدث مع أحدهم الذي طلب الدخول لأن الموضوع أكبر واطول من أن يناقش على الباب

ذلك ما فهمته، فنظر للوراء وأشار لـ (سان- اوف- ساتان)، أن يتوارى.. ودلف الرجل..

كان رجل في الثلاثينات من عمره تقريبا.. من النظرة الاولى يمكنك ان تجزم على انه من الطبقة الكادحة.. الذين يعيشون اليوم بيومه، او الذين يشقون في الحياة دون مقابل.. كل العلامات كانت ظاهرة عليه..

الملابس البالية التي عفي عليها الزمن، الذقن النامية، النظرة التي يملئوها الشقاء والتعب، وربما الحقد علينا ايضاً..

كان يرتدي بنطلون جينز ازرق، و(تي- شيرت) مقلم باللونين الابيض والا زرق.. مما يدل على أنه ليس من طبقة أخي الاجتماعية، وليس من (شلته) كذلك، ولا يعرفان بعضهما من الاساس..

فماذا يريد؟ ولماذا جاء؟ ومن هو؟

والواضح إن اخي هو الاخر كان لا يدري اجابات تلك الأسئلة..

دلف الرجل، وجلس على الاريكة ودار بينهما حديثا، غير وديا على ما بدى لي، كان حديث يملئه المساومة، حينما رفع جواله وثبته امام عينين أخي، الذي شاهد بصمت، بينما حدقتا عينيه تتسعان؛ فهمت أن ذلك الرجل حتما يمسك ذلة ما على اخي لكن للأسف لم يكن بمقدوري المشاهدة.. ذهب اخي وصعد إلى غرفته- فركضت انا إلى غرفتي لأختبئ - فتح الخزينة بالتأكيد وأفرغها من النقود التي بها، وعاد اليه - وعدت انا ايضاً - والواضح ان الرجل لم يكتفي بهذا المال، فكتب له أخي ورقة ليصرفها من البنك! هكذا غادر الرجل مسرورا، حاملا بين ذراعيه حقيبة ملأي بجميع النقود التي توجد في خزينة المنزل، فأشتاط اخي

غضبا كالثور بعدما ذهب الرجل، وهشم بعض الأكواب والمزهريات.. ثم صاح في (سن- اوف- ساتان) قائلا:

- أتبعه!

فلم يأخر طلبا وركض ذاهبا خلفه..

وظل سؤالين في رأسي (من يكون هذا الرجل)؟

وماهي الزلة التي يمسكها على أخي؟

* * *

(10)

مازلنا اذن مع (على جابر).. الذي أنكر كل شيء، واجاب اجابات اخري منطقية للأسف، اليوم الذي تزامن مع الجريمة الاخيرة – بالصدفة الذي عاد فيه إلى داره، منهكا، ملطخا بالغبار؛ كان هذا بعدما قام بدفن والده..

وعرفنا سبب خروجه من بيته وعودته في اوقات متأخرة..

هو غريب الاطوار ككل غريبو الاطوار الذين لم يصلوا بعد لدرجة الأجرام والقتل او الجنون..

يداه سريعة التعرق، كان طوال الوقت يجفف عرقه بمنديله، وبعد ما يقارب الثلاث او الاربع ساعات من التحقيق معه كان قد مل مني وملت منه.. وتمنى قتلي وتمنيت رميه من الشرفة!

كان الامر يجري على هذا النحو:

(علي جابر) اين كنت في اليوم كذا، الساعة كذا؟

– كنت في العمل... او هنا.. او هناك

(علي جابر) ماذا كنت تفعل في الوقت كذا؟

– كنت اقوم بتسليك اسناني!

(على جابر) ماذا تعرف عن تلك القلادة؟

- انها قلادة!

(على جابر) في وقت الجريمة الثالثة، اين كنت؟ وماذا كنت تفعل؟

- كنت في منزلي مريضا يا باشا.. احتسى حساء الدجاج الساخن!

(على جابر) هل انت القاتل؟

- اقسم أنه ليس انا!

***

وانا اصدقه.. أنه غالبا ليس القاتل، ولكن علينا اثبات ذلك بالأدلة.. وليست اي ادلة، أنه الدليل الأقوى، المعترف الوحيد على صاحبه.. دمه!

كنت طوال هذا الوقت اماطل معه، ليس لأي غرض اخر غير أن يمكث عندي أكثر وقت ممكن حتى تأتي نتيجة التحاليل، في ذات الوقت – لو كان المجرم – لعله يقع في بعض الزلات او الشرك او انجح في استنباط منه بعض المعلومات.. ولكنه فعلاً ليس هو، وعندما انتهيت منه، وانهيت علبتين من السجائر، وقبل أن استدعي العسكري حتى يذهب به إلى الحجز اتاني (لؤي) حاملا في يده نتيجة التحاليل – بين بقع الدم التي

كانت في مسرح الجريمة والبقع الجافة على القلادة – واتاني الخبر، الذي كنت انتظره، وكنت أشعر به.. عينتان الدم مختلفتان! نعم! انا صح!

وقلت بحماس موجها كلامي إلي(لؤي)

- هذا هو طرف الخيط

قال وعلى وجهه امارات عدم الفهم لما اقصد، ولحماسي المبالغ فيه وقال:

- لم افهم بعد مرادك؟ ماذا ستضيف تلك المعلومة؟ وماذا ستغير في القضية؟
- ستضيف كثيراً، وتغير كثيراً..

قلت وانا أنظر نظرات خبيثة ل (على جابر) نظرات تقول:

- (ها قد وقعت!)، او (سوف نري إن كنت صادقا فعلاً أم لا !)

ثم ربطت فوق كتف (على جابر) الذي اصبحت اعلم يقينا أنه ليس المجرم بينما اقول إلى (لؤي) أجروا له فحص (DNA) لنتأكد من أن عينته تطابق العينة الموجودة على القلادة أم لا ثم سأشرح لك كل شيء..

***

قلت بطريقة محققين الافلام العباقرة دوما، عندما يكتشفوا لغز القضية، وبالطبع لم انسي برم شاربي:

عندما ذهبنا لمسرح الجريمة، بالطبع كانت المرة الاولى التي يوجد بها دماء؛ ذلك ما فهمنا منه أنه فشل في خطفها مغشية عليها كما الباقين، فقتلها.. قتلها!

اذن نفهم أنه يريد ضحيته حية او ميتة فلماذا؟

حينها وجدت انا تلك القلادة اخذتها، وحاولت قدر الامكان أن احافظ على البصمات كما هي.. لفت نظري بقع غامقة حمراء اللون لا تظهر جيدا على جسم القلادة، ولكني اراها.. ولم احتاج لكثير من الوقت حتى اعرف أنها دماء..

حينها الطب الشرعي كان يعمل على العينة الأخرى على أمل أن تكون الفتاة هي من تلعب الكونغ و وقدرت على تمزيقه قبل أن يأخذها، ولكنه بالطبع أمل زائف والامر لم يكن كذلك.. نتيجة التحليل تطابقت تماماً مع المفقودة؛ وهكذا تأكدنا تماماً أن هي المفقودة، وهي الجريحة او المقتولة..

عندما تذكرت.. قطرات دماء جافة على القلادة .. القلادة التي وجدناها في مسرح الجريمة .. صور الفتاة المفقودة تظهر أن لها أظافر طويلة كالمخالب!

- هل فهمت اخيرا؟
- ليس تماماً .. احتاج إلى تجميع تلك الاجزاء حتى اتمكن من رؤية الصورة كاملة
- حسن

القلادة مكانها العنق، ما الذي سيوصل دم الفتاة إلى عنق المجرم؟ الا اذا كان يستخدم منشارا! ، وذلك الامر مستبعد تماماً وتم اثبات ذلك.. القلادة ممزقة ، اي ان المشهد كان كالاتي:

لقد تعرض لها المجرم يبغي تكرار سلسال جرائمه ذلك، الا أن الفتاة قاومت.. بأظافرها الطويلة راحت تعبث بعنقه بعنف فعلاً، فريسة تصارع من أجل حياتها.. حتى مزقت عنه القلادة فوقعت، وجرحته في عنقه ايضا قبل أن تمزق القلادة.. فتلوثت بدمه ثم سقطت عنه.. وهذا حدث قبل ان يتمكن هو منها.. هكذا نفهم ان حل لغز القضية يكمن في

تلك القلادة، انها قلادة المجرم و عليها دمه شخصيا .. ولكن ينقصنا فقط المجرم ذاته !

الامر ما زال صعبا، حيث اننا لم نري وجهه أبداً، فغير معقول أن نجري فحصا للبلد بأكملها حتى نتأكد من المجرم ومن لا .. ولكن علي الأقل، اي مشتبه به سيكون الفيصل بيننا وبينه هو تطابق عينة من دمه مع عينتنا..

وبابتسامة ونظرة ثقة نظرت له وقلت :

- والان قد فهمت؟
- هل يمكنك الاعادة؟
- تبا!

***

في الليل وصلني خبر ان (على جابر) لم يكن هو المجرم الذي نريده كما كنت اعلم من البداية، ولكني كنت أفكر كماتور لا يهدئ .. واترقب خبر المفقودة التالية، مازالت تلك القلادة تشغل حيزا من تفكيري؛ عرفنا انها قلادة المجرم و أنها ملطخة بدم المجرم ولكن لماذا كان يرتديها؟ ..

وماهي كنتها؟ ، لقد بحثت في الأمر كثيراً، ووجدت أن تلك القلادة تخص مجموعة يدعون « شيطانيين» ..«diabolical»

هل المجرم ينتمى اليهم فعلاً ام لا؟ .. وإن كان ينتمى اليهم فماذا هو هدفه، او هدفهم! .. هذا يعزز نظريتي الاولى التي لن يصدقها احد بسهولة، ان تلك الفتيات يعاملن معاملة القرابين!

تفكيري تتمزق احباله كلما صرخ طفل في ذلك البيت الصاخب! .. صحت بهم مرارا ولكنهم يعودون يصرخون ويركضون كالمعاتيه في كل مكان..

هؤلاء الاطفال حين تنجبهم فأنت تقتل الهدوء الذي كنت تنعم به قتلا..

ثم طفح بي الكيل حينما اتت (آية) زوجتي تجلس بجاني ثم تطلب أن نسافر إلي (مصيف) ! كما ذهبت شقيقتها، وزوجها؛ لأنهم ليسوا افضل منها في شيء طبعاً قلت لها بعصبية:

- هناك سفاح على الارجح يخطف و يقتل النساء ، وانتِ تريدين أن اتركه يفعل ما يشاء و نذهب إلي (مصيف) ! !

كانت تنادي علي، وتعتذر وتطلب مني العودة..

عندما كنت حاملا حقيبتي وتارك المنزل برمته، وذاهب كي ابيت في المكتب! ..

- حسنا لا نريد الذهاب .. فقط عد!
- لن اعود! ، انا اصبحت اعيش في سيرك! .. قال (مصيف) ! قال ..
- حسن .. ولكن لا تنسي ان تحضر معك الجبن واللبن والخبز و ..
- عليكم اللعنة ! ! !

طاااااااااخ !

كان صوت الباب الذي اغلقته بقوة قبل ان تكمل لستة الطلبات التي لن تنتهي حتى الصباح تلك، لم تعد اعصابي تتحمل..

هكذا ذهبت إلي مكتبي حاملا حقيبتي، وفي اليد الأخرى كيس القمامة التي أصرت زوجتي على أن احمله معي؛ كي اتخلص منه..

***

كليك ! .. اشعلت سيجارة، وانا جالس على مكتبي احاول تجميع الأفكار مجددا، في الظلام اجلس كالوطاويط .. أدخن واري خيوط الدخان على ضوء اصفر واهن ينبعث من أباجورة صغيرة ..

يراودني هاجس أن المجرم مازال مستمرا في التخطيط لضحيته الجديدة، وسنفاجئ بالخبر ينهال فوق رؤوسنا؛ من ثم تنهال فوق رأسي صيحات و

لعنات اللواء (سعد الدين) والكثير من النحيب، والكثير من اللقاءات، وكثير من أسئلة تعرضها تلك المذيعة السمجة التي تتمني اشعال الدنيا اشعالا

(هل تفشل الشرطة في القبض على المجرم بعد هذا العدد من الجرائم ؟ !) .. (إلي متى سيستمر الأمر ؟!) .. (اصبحت انا شخصيا أخاف النزول الى الشارع ؟!) ..

(اين الامان يا حكومة؟!) .. (أنه الاهمال! ! !) ..

وانا أقول في سري أن المجرم لن يأخذها ابدا وهي والسحلية شقيقتين!.. بغض النظر عن صحة بعض الكلام الذي يقولونه، ولكن الامر عسير كما تعلم، لقد اعتدنا ان الاختطاف يكون أهدئ من ذلك .. و القتل يترك جثة

وطالما هناك جثة أذن هناك قاتل .. هناك احتمالا كبير ان نمسك بالقاتل الذي يتكرم و يترك الجثة لنا، ولكن هذا الأخير يأخذهم فلماذا يفعل؟ .. لم نعتد على قاتل ينتمي إلي مجموعة « الشيطانيين» .. بعد ، نعم الان أتأكد أنه ينتمى إليهم، لماذا كلهن فتيات يافعات لم يتزوجن بعد ؟

.. إلي اين يأخذهم؟ .. هاذان سؤالين جوهريين إن وجدنا أجابتهم حلت القضية بأكملها ..

عابد من عبدة الشيطان وغالبا هو ضمن مجموعة من «الشيطانيين»، يخطف الفتيات اليافعات ليلا، وجدنا دماء احدهن .. ما يدل على أنه يريدها حية او ميتة .. او !

او .. هو يريد دماءها !

في اثناء قراءتي عن الأمر لفت نظري، انهم يهتمون بالدم، وانهم لا يعرفون الزواج، بل وأنهم يعتبروه دنسا، وجدت..

يا للبشاعة ! شعارهم الشهير :

(.. اقتل ما رغبت في ذلك

امنع البقرة من إدرار اللبن.. أجعل الآخرين غير قادرين على الانجاب..

أقتل الأجنة في بطون أمهاتهم.. اشربوا دم الصغار واصنعوا منه حساء..

أخبزوا في الأفران لحومهم، اصنعوا من عظامهم أدوات للتعذيب..)

هكذا بدأت شبه أتأكد، أنه او انهم يخطفون الفتيات للدقة، الفتيات اليافعات العذارى، الذين لم يلوثوا بعد بالزواج ومثل تلك الأمور...
فتيات عذارى لا تزال دمائهن منعشة، دمائهن مليئة بالحياة، وبالروح، وبالحماس، ما زلت دمائهن طازجة.. هذا يؤكد كلامي الذي لن يصدقه أحدا، أن تلك الفتيات يعاملن معاملة القرابين !

***

يجب أن تشرب الأرض حتى يرتوي ظمئها.. يوجد بين الظلام بابا يفتح .. لتحرير سيد الاشرار و سيدنا (الشرير الأعظم) .. بدماء تجري بها الحياة .. تعود الينا روح مخلصنا المجيد المتعطش للدم وكل ما هو قبيح..

***

بينما انا جالس أفكر، وقد جمعت صورة لا بأس بها للقضية.. ذلك التجلي في التفكير الذي يصدع الرأس والذي يستحيل الحصول عليه في بيتي ..
نظريتي الخاصة تقول أنهم مجموعة من الهواة عبدة الشيطان المتحمسين، يخطفون الفتيات العذارى للدقة، كي .. كي! ، كي يستحضرون،

ويستدعون ما يسمونه با الـ (الشرير الأعظم) ! .. والذي بالطبع هو (لوسيفر)، السؤال هنا :

إلي متى ستستمر تلك العمليات الإجرامية؟

وإين يذهبون؟

وهل تلك المفقودات مازالوا على قيد الحياة ام لا؟

أتحدث بصيغة الجمع لأني شبه متأكد من كلامي، انهم مجموعة ولكن من ينفذ غالبا هو واحدا او أثنين فقط، ولكن أين اجده ؟ .. أين !

تررررررررن !

صوت رنين الهاتف المفاجئ وسط الظلام جعل شعري يقترب من الشيب! ..

عندما رفعت السماعة وتساءلت عن المتكلم، وكان (لؤي) يقول بحماس، او لعله هلع

ثمة جريمة جديدة على الأرجح هي تمشي بذات التسلسل والخبر الجيد أنها لا تزال طازجة، في منطقة بالقرب منا، حيث تأخرت الفتاة كعادة تلك المفقودات، وانتظروا اسرتها على اعصابهم حتى فاض بهم الكيل وهرعوا لمركز الشرطة..

في ذات الوقت هناك من شاهد الجريمة تلك المرة!

كدت انهار من فرط الحماس الذي غزو روحي، لعله حماس ربما كان خوف من فشل أخر، ولكننا سنسميه حماس

صحت به :

- وماذا تنتظر؟! .. بالتأكيد هو لم يهرب بعد، أقفلوا مداخل ومخارج المنطقة! .. قوموا بوضع الكمين في كل مكان ! .. وانا قادم حالا الى حيث أنت، انا في مكتبي الان ولن اتأخر
- حسن .. ليكن
- ولكن انتظر لحظة؟ .. هل كانت تلك الفتاة ايضاً عذراء؟
- احم! .. ما تلك الاسئلة الغريبة والفضولية يا فاندم، بالتأكيد انا لا اعرف ذلك الامر و..

كنت قد أغلقت المكالمة في وجه ذلك الاحمق الذي يعشق الجدال! .. وانتظرت لحظة احاول تجميع ما قاله، والبدء في محاولة جديدة ولكنها فريدة للامساك به او بهم

لقد وجدته ! او وجدتهم !

***

(11)

(علاء سالم) الذي تحرر اخيرا من ديونه .. والذي يطمع في بعض من أنفاس الأكسجين النقية .. وكم يوم من الايام التي حرم منها ولكن هل ضميره سيتركه وشأنه؟ ..

* * *

أخذت حقيبة المال، ومشيت بها وانا أشعر اني احمل قنبلة بين ذراعي، حتما تلك النقود لعنه على صاحبها، كنت امشي في الشارع ولأول مرة أخشي اللصوص، فأخذت أمشي بخطوات سريعة متعجلة، حتى وجدت اول (تاكسي) امامي وبالطبع كانت المرة الأولى التي أركب فيها الـ (تاكسي)

وأنا في داخلي صوت يصرخ فرحا:

(محمد) تحمل قليلا يا بني، أن اباك في الطريق قادم اليك بالطعام ! لم يكن المبلغ هائلا لو كنت تعتقد ذلك، ولكنه بالنسبة لي كان كافيا جداً، اضافة إلي الورقة التي سأصرفها في الغد لتزيد المال مالا أن بقعة ماء بالتأكيد تكفي لاستحمام برغوث ! .. ذلك مثلا ربما يقرب صورة من شعوري، ذلك مبدأ يستخدموه الكثير من العمالقة الفاسدون

لشراء عددا لا بأس به من البراغيث يعملون تحت ايديهم ولمصلحتهم ، او لإسكاتهم

افكر بالطبع ما يمكن عمله بذلك المال الذي لم أحلم أن اره في حياتي من قبل .. والذي اصبح عاتقا ايضاً

أين اخفيه؟ .. في البنك ليسألوني من اين لك هذا؟

أم في حشية السرير؟ .. ام تحت البلاط؟

* * *

عدت للمنزل ذلك اليوم محملا بأكياس الطعام، وكل شيء وجدته في كل متجر مازال لم يغلق بعد لأجد الصغير نائما كما توقعت، فأيقظته ليأكل حتى يشبع، ويذوق ما لم يذقه من قبل.. وبالطبع سعد وظن أن ابيه وقع على كنز على بابا لا يعرف الابله أنها بعض النقود التي ستنتهى حتما، سيذهب نصفها او اغلبها إلي القرض الذي يكبل عنقي و كان سيكبله طوال حياتي، ولكن لقد انتهيت منه اخيرا..

أتتني خواطر و سيناريوهات مختلفة يقول عقلي كان من الافضل فعل كذا .. ولماذا لم تفعل كذا؟ .. يا لك من احمق!

تمنيت لو أخذت منه أكثر، واضح أن حالته المادية مرتاحة، ويعيش في ثراء بابا و ماما ..ولكن ما حدث حدث ولا يمكن تغيره للأسف..

***

لكن ضميري .. يا له من ضمير ! وجه فقر فعلاً، بعدما انعشتني النقود كما ينعش جهاز الصدمات الكهربائية الموتى او الوشكين على الموت فيعيدهم للحياة مجددا .. بدأ الحماس ينخفض تدريجيا .. بعدما انتهي اليوم، ونام الصغير سعيدا، لم أستطع انا النوم ظللت أجلد ذاتي حتى للصباح !

مر يومين لم أستطيع فيهما النوم .. راودتني كوابيس عديدة مشهد الفتاة البريئة التي قتلت امام عدسة الكاميرا .. لقد ذبحت امام عيني! كيف وصلت لتلك الدرجة من البرود؟ .. كيف وصلت لتلك الدرجة من الا مبالاة؟ .. اين فقدت مشاعري فلم اعد أشعر، لم اتعاطف، ولم أفكر في حكمة أن يقع ذلك الدليل بين يداي.. فقط توقعت ان السبب هو انقاذي من ازماتي، ومن ديوني، ومن فقري الذي جثم على روحي كطبقة من الجير فبلد مشاعري، وقتل قلبي ..

راودني هاجس ان تلك النقود حرام .. طبعاً هي حرام!

تلك المشاهد السينمائية التي يعرضها عقلي مريعة بحق، وترهقني نفسيا .. مشهد اسرة الفتاة وهم يبكون ويتمزق قلب كل منهم على فقيدتهم الشابة والتي ضاع حقها .. وكان في يدي ارجاعه

مشهد حبيب الفتاة – لو كان لديها حبيبا – وهو يكاد يجن ..

مشهد وانا أساوم القاتل لأخذ منه مالا مقابل التستر عليه بينما اعتي علامات الخبث و الشيطنة ترتسم على وجهي!

ليس انا .. حتما ليس انا!

* * *

كنت اتمنى ان اعيش كباقي الناس .. كنت اتمنى أن يكون لي حياة كريمة، كلا فلأذهب انا إلي الجحيم الذي استحقه ! .. ولكن طفلي، ما ذنبه أن يعيش يشاهد فقط .. يشاهد الدنيا ولا يعيشها.. يشاهد الطعام الذي يسيل له لعابه ولا يتذوقه .. يشاهد الاطفال ذوي الملابس النظيفة من خلال رقعة في ثيابه.. عندما يكبر ويجد جميع من حوله يتزوجون وينجبون وهو لا يملك اطعام نفسه .. انا من لم أجهز له حياة كريمة يستحقها، انا من انجبته كي يتعذب، سيقول لي كما قلت لأبي زمان انه السبب في شقائي وطالما لا يقدر على الانجاب فلماذا يفعل؟ ..

وها هي ذات الدائرة ندور فيها من جديد .. وها هي ذات الحياة تبدل الشخصيات في ذات الادوار .. و ها هي سخرية القدر .. و ها هي عيون الناس الجارحة، وقلوب الناس اليابسة ..

لقد ماتت الفتاة ولن تعود أبداً، فلماذا لا اقتنص تلك الفرصة التي لن تعود أبداً بدورها؟ ..

لماذا نتجرع الالم بينما هناك من يتلذذون باحتساء دماءنا؟

ربما تستحق الموت؟ .. ربما هي تعرفه وهو يعرفها وتلك نهاية قصتهما،

ويقول جزء أخر من عقلي :

لا بل كان في يدك ارجاع حقها ! .. كان في يدك القضاء علي مجرم بالتأكيد سيعيش ويعبث في الارض فسادا!

فأقول له بسخرية :

الدنيا مليئة بالمجرمين الذين يعبثون في الارض فسادا .. فلن يزيدهم واحدا، ولن يكون الأخير

ربما هي تعرفه وهو يعرفها وتلك نهاية قصتهما؟ .. وربما كان .. كان سفاحا !

* * *

ما كنت فيه هو المعني الحرفي للصراع الذي يكمن داخل الانسان، الأثنين في جسد واحد، احدهما شرها يطمع في كل شيء وبأي ثمن .. واحدهم يرفض لا يقبل أن يدنس نفسه مهما كانت الظروف ..
ربما كان سفاحا! وانت اعطيته الفرصة لكي يكمل فيما يفعله..

بينما انا جالس في المقهى، احتسي الشاي وأنظر علي شاشة التيلفزيون المعلقة؛ انتبهت لذلك الخبر الذي جعل الصراع بين الطرفين يشتعل نارا ! .. وجعل ضميري يعمل بجد في تفتيت قلبي فتاتا

مفقودة جديدة، على ذات التسلسل .. هي فتاة يافعة، طالبة جامعية ذهبت إلي جامعتها ولم تعود حتى الان، اصدقائها لا احد منهم يدري عنها شيئا و لا يعرفون لها طريقا، بينما اسرتها تموت كل يوم ..
وغالبا لا يوجد غيره ما نسميه ب (خاطف النساء) ! ..
ثم علت نبرة صوت المذيعة وهي تقول حانقة بطريقة درامية:

إلي متى؟ .. إلي متى سيظل ذلك المجنون مستمرا؟ .. إلي متى سنفقد بناتنا؟ .. إلي متى سنعيش بدون امان ..

حسنا أقولها بكل أسى وحزن :

– لا تنزلون إلي الشارع أيها النساء فالشارع في بلدنا لم يعد به امان

اوجه كلامي للحكومة: انا اعلم انكم تعملون بجد للقبض عليه او عليهم .. لعلها عصابة متكاملة .. ولكنى أحثكم على الاجتهاد اكثر و على الاهتمام جد اهمية بالأمر .. ان الوضع هكذا يتطور سوءا، ولا نعلم أخرتها أيه يا مصر ؟!

كان معكم (شرين هنائي) في برنامجكم

(اخرتها ايه يا مصر؟) ..

ثم انتقلوا لعدة فيديوهات عبارة عن لقاءات مع اسرة المفقودة وهم بالطبع يبكون ويولولون .. ثم عرضوا بعضا من صور الفتاة مع تلك الموسيقى الحزينة ..

والقهوجي يقول : (لا حول ولا قوة الا بالله !)..

(استرها على عبيدك يا رب !) .. ثم أتي عندي كي يحمل الكوب الفارغ .. افقت من شرود غرقت فيه وسألته :

- ما قصة هذا الأمر!
- كيف لا تعلم يا استاذ؟! .. انت حقا تعيش في كوكب اخر! .. ذلك الأمر الذي صار حديث الساعة الان، كل يوم فتاة مفقودة ولا احد يدري عنها شيئا .. يقولون ان هناك من يختطفهن لسبب لا يعلمه الا الله وحده .. ولكن لا احد يدري حتى الان من هو .. يبدو انه بارع ابن الكلب! ، او هو اهمال الحكومة التي.... و..

وأخذ يسب في الحكومة المهملة التي لا تقوم بعملها، وينعى البلد التي لم يعد بها امان .. ثم اضاف :

- عن نفسي نبهت على (الولية) الا تنزل الشارع الان ابدا .. انها المفقودة الخامسة والله اعلم إلي متى سيستمر الأمر ..
- الخامسة ! .. يا أبن العاهرة !
- من هو أبن العاهرة يا استاذ ! !

قلت له محاولا تهدئة روعه، بعدما وجدته كور قبضته استعدادا للفتك بي !

- لا .. لا اقصدك أنت بالطبع يا اخي
- كنت احسب فقط !

وضعت يدي في جيبي لأعطيه نقوده، ثم قال :

– منتحرمش منك يا استاذ

ثم غرقت في الشرود أكثر.. لعل ذلك الفتى يعاني من عقدة من النساء !

.. لعله.. اين يكن هو سفاح.. سفاح ! ويجب ايقافه عند حده!

كان على الشاشة أم الفتاة وهي تبكي بكاء يمزق نياط القلوب .. فنهضت عازما على ان انهي الأمر كبطل كأبطال القصص و الافلام .. لكن الرؤية اصبحت ضبابية .. وشعرت بسائل ما يملئ عيني

لعلها دموعي

***

(12)

لقد قال أنهم اقتربوا! .. قال أنه في الايام المقبلة!

قال أن الأرض ستشرب حتى ترتوي! .. وبالطبع كلام لن نفهمه ولكنه غير مطمئن كما يبدو!

* * *

لن اندهش مجددا، ولن اتعجب من تصرفات اخي بعد الان؛ لأني اعتدت الامر.

في اليومين السابقين لا جديد يذكر، فقط استمريت على ذات المنوال؛ التجسس على أخي و رفاقه – من يأتي منهم وهذا نادرا التنصت على مكالماته الهاتفية المبهمة، العبث في حاجياته و التفتيش في غرفته، ولكن بحذر تلك المرة، مع مراعاة ارجاع كل شيء إلي مكانه، واختيار الوقت المناسب كي لا يمزقني اربا .. خاصة وهو قد تحول تماماً لشخص أخر و صرت اهابه كالثعابين و الفئران..

سمعت في احدي المكالمات تلك الكلمات على لسان اخي :

« لقد جهزت كل ما احتاجه »

«نعم الزي معي الان»

«انت لا تعرف شيئا يا (بولد)! أن الأمر صار حديث الساعة.. والصحافة تثرثر طوال اليوم، وبالتأكد الشرطة ستفتح عينيها أكثر وأكثر..»

«يجب من تغير الطريقة كما تعلم... نعم.. نعم، لقد اقتربنا للغاية.. فقط الزموا مكانكم، واستمروا في اطاعة تعليماتي جيدا»

بعدها وجدت اشياء جديد لم اهتم لها كثيراً، ولكن ايضاً لم أفهم سبب وجودها و الغرض منها..

مثلا كان هناك قناع من نوع اخر؛ هو وجه اخر بمعني أصح وجه من أولئك الذين صرت اراهم في الآونة الأخيرة.. وجه بشري جداً ! .. يشبه وجه البشر، وجه رجل عجوز اشيب الشعر.. بالطبع كان منظره غريبا وهو منكمشا على نفسه كجورب.. وهناك ايضاً عوينات سميكة! .. وأخي لا يرتدي عوينات اصلا! .. وملابس شتوية رغم اننا في فصل الصيف.. ولم تكن عصرية، كانت ملابس شتوية تليق برجل عجوز فقير (معطفا رثا اصفر اللون – بنطلونا من القماش) .. رجل عجوز اشيب الشعر يرتدي عوينات !

هل هكذا الأمر مريبا بما يكفي؟

***

وجدت تلك القناة التي تعرض برنامج(اخرتها ايه يا مصر؟)، الذي لا اشاهده بالطبع، ولست من متابعيه ولكن لفت نظري ذلك الخبر عن المفقودة رقم خمسة! .. يقولون أن هناك (خاطف النساء) يقبع في الشوارع بانتظار اي حسناء كي يأخذها إلي حيث لا ندري.. قالت المذيعة بتلك الطريقة الدرامية :

إلي متى؟ .. إلي متى سيظل ذلك المجنون مستمرا؟ .. إلي متى سنفقد بناتنا؟ .. إلي متى سنعيش بدون امان .. .. الخ

وانتهى البرنامج مع عرض بعض الصور للفتاة مدرجة مع تلك الموسيقى الحزينة، ثم فيديوهات و لقاءات مع اسرتها المنهارون.. وبالطبع ان لا امتلك قلبا من الحجارة، فلقد أثر فيا الخبر كثيراً، خاصة بكاء الأم و الأب .. ولفت انتباهي انها رقم خمسة أي أن هناك ٤ مفقودات سابقين ! .. اي أنه هناك مجنونا لا احد قادر على ايقافه .. اي ان الموضوع مخيف حقا كما نري !

***

كان (سمير) يرتدي الـ (تي- شرت) الضيق ذوي الأكمام الطويلة أسود اللون، وبنطلون معتاد باللون الاسود ايضاً، كان يتأهب للنزول، وكنت اتفحصه بعيني جيدا .. بعدما اصبحت كضباط المخابرات .. لو تغاضينا عن ارتدائه تلك الملابس في فصل الصيف، فلماذا يرتدي الكوفية السوداء بدورها حول رقبته؟ .. الاجابة التي قالها او الكذبة التي ادعاها، لأني الان متأكدة انه يفعل اشياء مريبة لا ادري عنها شيئا.. أشياء ا غير اخلاقية او غير قانونية، ولكنه بالتأكيد يفعل شيء ما ..

لقد أدعى أنه مصاب بنزلة برد .. وذهب يحمل في يده كيسا ابيض اللون لم أعرف محتوياته الا فيما بعد... بعدما غادر

دلفت لغرفته كريهة الرائحة ككهف .. فلم اجد القناع ولا العوينات ولا الملابس فعلمت حينها ماذا كان في داخل الكيس..

***

ولكن ما وجدته بعد ذلك .. كان يشرح كل شيء، كان مخبئ بعناية اسفل حشية السرير، تحت قطعة من السيراميك الغير مركب، وجدتها مغلفة بداخل كيس بلاستيكي تنتظرني في شغف ، هي السر وراء كل

لغر... وهي الاجابة وراء كل سؤال .. وهي الحقيقة التي لا يعرفها أحد وراء كل كذب ..

كانت كراس صغيرة مكتوب فيها بخط اخي كل شيء ..

كانت مذكراته !

وفتحتها واخذت اتصفحها بنهم، بتشوق للمعرفة وانا اتمنى ان اجد بها اجابات أسئلتي الكثيرة

***

أكتب تلك المذكرات كي تكتشف بعد موتي لتعرف أختي الحقيقة، والتي اوصيها بأن ترحل بعيدا . بعيدا .. وتدفن ذلك السر بين ضلوعها، وتسامحني

لقد بدأ الأمر كله في احدي ولايات الولايات المتحدة الأمريكية ..

***

(13)

كانت هناك تلك السيارة السوداء ممزوجة بظلام الليل الذي يدنسه اضواء الأعمدة الكهربائية الواهنة.. (مدحت) لم يشاهد الأمر منذ بدايته .. لكنه خرج من الشرفة في ذلك الوقت تحديدا يبغي تعبئة رئتيه ببعض الهواء النقي بينما يدخن سيجارة .. فأصابته حالة الصدمة التي تصيب الناس حينما يشاهدون جريمة قتل او خطف للمرة الاولى امام اعينهم !

بينما هو يشاهد وعيناه تجحظان، و قد نسي كيف كان يتكلم، وكيف له ان يتصرف .. تتمزق حروف الكلام على لسانه، الذي كأنما أنتزع منه .. و حشرت الجمل في حلقه حشرا ..

هنا في ذات اللحظة برزت من الداخل زوجته، وهنا افدتنا هستيريا النساء حيث لم تحتمل او تصاب بحالة الصدمة التي هي اقرب للبلاهة تلك التي اصابت زوجها ..بل صرخت ! .. صرخة مذعورة !.. بينما تلطم صدرها تلك الحركة الشهيرة من طراز :

– يا لهوي! ! !

ولقد انتبه المجرم، الذي كان يجر ضحيته المغشي عليها إلي داخل سيارته السوداء .. بالطبع لم يري (مدحت) و زوجته وجهه؛ لأنه

ملثم الوجه كما نعلم .. بالطبع لم يوجد في قدرته أي حل الا الاتصال بالشرطة ..

***

وها هو ذا قد ابلغنا بالأمر...

اشعلت لفافة التبغ الذي لابد منها .. بينما استمع لذلك الشخص النحيل كعود ثقاب (مدحت) هو من شاهد الجريمة من الشرفة..

حسنا في الواقع لا يوجد جديد، سيارة سوداء .. مجرم ملثم الوجه يرتدي ثياب سوداء .. ضحية فتاة يافعة .. هل ترك دليلا تلك المرة ؟ .. سنعرف حينما نذهب لموقع الجريمة

سألته السؤال الأهم الاخير :

- هل رأيت أرقام السيارة؟ .. وهل تتذكرها؟
- في الحقيقة يا باشا لم أري منها شيئا ابدا .. انها على ما يبدو بدون ارقام اصلا
- بدون ارقام اصلا !

***

لقد نصبنا كمينا في كل مكان .. لقد اغلقنا المداخل والمخارج، ورجالنا في كل صوب، ولكن أين هو؟ .. توقعت أن يقع في قبضتنا بعد دقائق او ساعة او ساعتين على الأكثر، بعدما وصلنا الخبر.. ولكن ها نحن الان، وقد دخل علينا النهار تجدوني واقفا واذهب جيئة وايابا عاقدا ذراعي وانتظر كمن ينتظر زوجته امام غرفة الولادة، وقد أشعلت علبة تبغ كاملة .. أتصل بالرجال في الكمائن الأخرى لأسألهم عن كيف تجري الأمور عندهم فأجد لا جديد ..

كدت أجن حقا ! .. هل يرتدي طاقية الاخفاء؟، أم أنه لم يخرج من المنطقة بعد؟.. (مدحت) وزوجته الحمقاء التي رقعت بصوتها بالتأكيد اعطوه في ذات الوقت تحذيرا أنهم سيبلغون البوليس! .. لماذا لم يبلغوننا في صمت وحسب!

لربما هو قابع في المنطقة لم يخرج منها بعد، لأنه عرف بطريقة ما اننا متربصون له ننتظر الظفر به ، فأختبئ في مكان ما

تنهد (لؤي) وقال :

- أن رجالنا منتشرون في المنطقة بأكملها يجوبونها كالنحل، ولم يجدوا تلك المواصفات التي اخبرناهم بها،

فقط كان هناك طريقا لابد أنه كان سيهرب منه، الطريق الشبه فارغ دوما، هذا كان الانسب له؛ لذا وضعنا كمينا هناك ولكن لم يمر منه أحد حتى الان

قال (لؤي) وهو يصحح لي المعلومة كالعالم بكل شيء :

- عدا رجل واحد .. لكنه بالتأكيد ليس من نبحث عنه، أنه رجل غلبان .. رجل عجوز اشيب الشعر يرتدي معطفا رثا اصفر اللون ، وبنطلونا من القماش، وعوينات سميكة لا تري عيناه من ورائهما كان يمشي بسيارة اسعاف، ولقد مر من الكمين منذ قليل..

بعد برهة اتاني الاتصال الذي كنت أخشاه، لقد وجد رجالنا السيارة السوداء اخيرا .. لكنهم وجدوها فارغة! ، وكانت كما قال (مدحت) منزوعة الأرقام، هنا تأكدت انه فر منا وهرب، تاركا لنا قطعة سوداء من الحديد كعدمها .. لقد هرب ولكن كيف؟ .. كيف؟!

***

ذهبت لمسرح الجريمة، لا يوجد دليل مادي جديد، ولا دماء ولا قلادة ولا اشياء من ذلك القبيل، فقط السيارة التي صارت في حوزتنا، ولم يكن امامنا غير رفع البصمات على كل حال والذي كنت اعلم أنه دون جدوي، ولن يضيف شيئا هاما جديدا؛ فأنت معك بصمات لا تعرف وجه صاحبها أصلا ولا أين تجده ولو وجدته لما احتجت لبصماته .. ولكنها تبقى اضافة جديدة لربما تفيدنا يوما ما ..

كنت افكر كثيراً، كيف فعلها وفر منا وهرب ذلك الوغد مجددا؟ .. انه نشيطا جداً و يؤدي عمله على أكمل وجه، وكل مرة يترك لنا شيئا كأنه يخرج لنا لسانه! .. دماء وقلادة، وفي الأخير سيارته السوداء اللعينة، والتي كما قال (مدحت) بدون ارقام!.. كيف كان يمشي بها؟، وكيف لم يلاحظه أحد ولا شرطيا ما؟

لا يهم ذلك العموم..

سألت نفسي كيف استطاع الهروب بدون سيارته، ومعه الفتاة؟ .. هل حملها فوق كتفه؟ .. اظن الأمر ليس بتلك السهولة أبداً

ان الأمر بالتأكيد مخطط له جيدا كما يبدو، هل هرب منا قبل أن نكمل حصاره؟ .. اظن أن الوقت لم يكن بذاك الأتساع ففي الحال قمنا بنشب الحصار عليه .. اذن كيف؟

لقد وجد نفسه محاصرا وعلم جيدا أن رجالنا في كل كمين و نحن مصوبون تركيزنا كله على سيارة سوداء من النوع (□يب)، وفتى مختل عقليا هو شاب على الأرجح و فتاة هي ضحيته البائسة ..

المخرج الوحيد الذي توقعت ان يخرج منه، والذي خرجت منه سيارة اسعاف لرجل عجوز رث الثياب يرتدي المعطف رغم اننا في فصل الصيف، وعوينات في سمك قعر الكوب، جعلني ارتاب حقا ..

وجعلني أتصل بزميل أسأله :

- ولم تطلعوا على رخصة القيادة او بطاقة الهوية؟

ولم تفتشوا السيارة؟

- في الحقيقة لم نفعل، لقد كان الرجل يبدو صادقا وهو يتكلم بنبرة وشيكة على التحول لبكاء .. أن معه حالة صعبة كان يجب نقلها للمستشفى في الحال! .. ثم اننا نعلم جيدا أن من نبحث عنه هو شاب يركب سيارة سوداء عصرية ويرتدي ملابس عصرية تخيل

كان يرتدي معطفا في فصل الصيف! عندما سألته عن السبب قال أنه يعاني من داء ما في العظام .. وكي تطمئن لقد القينا نظرة داخل السيارة واتضح ان الرجل لا يكذب لقد كانت في حالة صعبة فعلاً

- من كانت؟
- تلك المريضة بالداخل
- هل كانت فتاة!
- بالطبع كانت فتاة فأنا استخدم صيغة المؤنث ها هنا
- وتركتموه يرحل بتلك السهولة؟
- لم يكن من الضروري ترك حياة انسانة تنتهي من أجل..
- أنتم من انهيتموها! .. انتم مجموعة من حمقى!

***

بالطبع وضعت سماعة الهاتف غاضبا .. انه الاستهتار، كان عليهم الا يجعلوا ذبابة تمر من ذلك الكمين تحديدا، الان فهمت..

أنه كالثعبان يغير جلده، لقد تقمص دور رجلا عجوزا بعيد كل البعد عن شخصيته المبهمة التي نبحث عنها، واستقل سيارة اسعاف – الله وحده

يعلم كيف – ووضع بداخلها الفتاة على انها المريضة التي يجب انقاذ حياتها في اسرع وقت نظرا لأن حالتها صعبة! .. وببعض التمثيل المبتذل نجاح في خدعهم.. تبا! .. لقد هرب بالفتاة من بين ايدينا حرفيا..

يقول قائلا:

– لما انا متأكد ان ذلك العجوز هو المجرم؟

اقول لذلك القائل المحنك، أن الضابط في الكمين لم يأخذ باله أن أقرب مستشفى عام في المنطقة هي ببساطة داخل حدود المنطقة .. اي أنه لا داع للمرور من الكمين اصلا!

* * *

ذهبت الى الكافية لأقابل صديق عزيز يدعي (هشام) هو اكبر منى عمرا ولكن ليس بالكثير فقط اغتنم من سنوات عمره تلك الشعريات البيضات في جانبي شعره .. ونظارة نظر يرتديها دوما، فيبدو كالمثقفين تماماً، وهو بالفعل كذلك..

يقبع في ذلك الكافية كثيراً، يحبذ في ذلك الوقت تحديدا أن يحتسى قهوته، ذهبت كي اطمئن عليه و أجلس معه قليلا عسي أن انسي تلك القضية التي تتفاقم اكثر وحسب..

والحقيقة لم تكن زيارتي له بريئة إلي هذا الحد.. نقية من الرغبات .. كانت لي رغبة واحدة فقط..

(هشام) منذ زمن وهو مهوس بالقراءة في كتب السحر، والجان، والمشعوذين، والأمور الغريبة في ذلك العالم ولا استبعد أن يكون كل ما قرائه هو سبب شيب شعره المبكر!.. في جيبي القلادة ذات النجمة الخماسية .. وفي رأسي بعض الأسئلة التي سأتناقش فيها معه بصفته خبيرا في تلك الامور..

بعدما حييته و تعانقنا، وجلسنا، ولومنا بعضنا البعض على عدم السؤال، و طلبت مشروبا وجلست اخيرا لأبدأ الحديث فيما جئت لهدف الحديث فيه..

قلت له أن ذلك المجرم محترف حقا، نشيطا حقا، يتخذ احتياطاته وكأنه يتنبأ بما سيحدث، وعسير القبض عليه حقا ولكن ليس موضوعنا .. اخرجت القلادة ووضعتها امامه على الطاولة التي بيننا .. فأمسكها

كما يجب ان يفعل وأخذ يتأملها و خلع نظراته ليتمعن النظر أكثر كخبير مختص ويتفحص تفاصيلها وذلك ما لم أجد له سببا مبررا في الواقع! .. فالقلادة غير معقدة إلي هذا الحد؛ ولكن يجب أن: (تثقل لتأخذ حاجة نظيفة)

ثم اعادها مكانها و عاود النظر لي وقال :

- النجمة الخماسية
- نعم اعلم جيدا انها نجمة خماسية
- وعلامة اليد التي تحاكي قرون الشيطان
- نعم اعلم أن هناك علامة يد تحاكي قرون الشيطان

ضاقت عيناه في دلالة على التركيز و اخذ يتفحصها أكثر وقال :

- وهناك بقع ما جفت ايضا
- نعم نعم. انها بقع دماء
- لما أتيتني اذن؟!
- لكي أعلم أكثر

* * *

«ان للنجمة الخماسية دلالات كثيرة، هي العلامة التي يحملها علم إسرائيل وهى في نفس الوقت رسمة كان يستخدمها الكهنة قديما لاستحضار الشيطان».

قال : بالطبع لا يرتدي كمثل تلك القلادة الا شخص يعرف على ماذا تدل .. اخبرته انني اعلم كل ذلك، ولكن كان السؤال الأهم (لماذا يفعل ذلك؟)

- هل وجدت في قراءاتك في ذلك الصدد شيء يستدعي اختطاف النساء او الحاجة إلي دمائهن؟ عند (الشيطانيين)؟ وإن كان هناك فما هو هدفهم؟ وما مصير تلك الفتيات؟

احتسي اخر قطرات في فنجانه، قبل ان يطلب مشروبا أخر مع طلب النرجيلة ليعبئ الهواء بالدخان، وقال :

- سأروي لك قصة ولكن اصغي لي
- لأنها هامة جداً؟
- بل لأنني لن اعيدها!

* * *

«الشيطانية » .. «Satanism » [٣]

الشيطاني هو مصطلح عام يشير إلى مجموعة من المعتقدات الأيدلوجية والفلسفية تتضمن الشيطانية رابطة رمزية وإعجاب بالشيطان، أشارت تقديرات تعود لعام ١٩٩٠ بوجود ٥٠,٠٠٠ شيطاني حالياً .. وقد يكون هناك ما لا يقل عن مئة ألف شيطاني في العالم ..

على الرغم من أن الممارسة العلنية للشيطانية بدأت بتأسيس كنيسة الشيطان في الولايات المتحدة عام ١٩٦٦، إلا أن السابقات التاريخية كانت موجودة: مجموعة تدعى« Our Lady of Endor Coven» تأسست في« أوهايو» على يد «هيربرت آرثر سلون» عام ١٩٤٨..

تتنوع على نطاق كبير المجموعات الشيطانية التي ظهرت بعد ستينات القرن الماضي، ومع ذلك فإن اتجاهان رئيسيان أثنان وهما الشيطانية الإيمانية والشيطانية الإلحادية.

[٣] حقيقة (ذلك الجزء التعريفي في الصفحة (١٢١-١٢٢) مقتبس من (ويكيبيديا) وليس من تأليف المؤلف والذي ينتهي عند العلامة (***))

ذكر الشيطان أول مرة في التوراة على هيئة ملاك يطعن بالديانات التي يتبعها البشر رافضاً الاعتراف بسلطة «يهوه» بدأت حركة «الشيطانيين» في ١٩٦٦ مع تأسيس كنيسة الشيطان.

جميع النصوص الدينية الخاصة بالأديان الإبراهيمية تنظر إلى الشيطان على أنه خصم أو عدو، إلا أن هناك بعض الأعمال الأدبية التي تجسد الشيطان بشخصية البطل مثل كتابات «جورج برنارد شو»، « ومارك توين» التي تبناها الشيطانيون.

الجماعات الشيطانية المعاصرة (التي ظهرت بعد ١٩٦٠) لها نطاق واسع ومتنوع، لكن يوجد اتجاهان رئيسيان هما الشيطانية الإيمانية (Theistic Satanism) والشيطانية الإلحادية. الشيطانية؛

الإيمانية تبجل الشيطان كإله خارق للطبيعة، على عكس الشيطانيين الإلحاديين الذين ينظرون إلى أنفسهم على أنهم ملحدون ولا يؤمنون بالشيطان المادي بل يؤمنون بالشيطان الرمزي الذي يرمز إلى بعض الخصال البشرية

على الرغم من الانتقادات الشديدة للشيطانية من قبل الجماعات الدينية الأخرى، إلا أن الشيطانية أصبحت مقبولة في بعض المجتمعات. على

سبيل المثال، يسمح الان للشيطانيين بالانضمام للبحرية الملكية البريطانية للقوات المسلحة، على الرغم من معارضة الكثير من المسيحيين والجماعات الأخرى

كما أنه في عام ٢٠٠٥ قامت المحكمة العليا بحماية حقوق الشيطانيين بمزاولة طقوسهم في السجون

***

لم تقتصر هذه الأسطورة التي يعود تاريخها إلى ما قبل التاريخ على[٤] العالم الغربي وحسب، ولكنها اقتحمت على مدار التاريخ عالمنا العربي والشرقي أكثر من مرة، وكان أشهرها في وقت التسعينيات والجماعة التي اتخذت من قصر البارون مكاناً لجلسات استحضار «الشرير الأعظم»، وفقا للمصطلح الذى يطلقونه على الشيطان، فاتسمت في البداية بارتداء اللون الأسود وسماع نوع معين من الموسيقى «موسيقى الميتال»، لكن الأمر تطور إلى حالات اختطاف وقتل الأطفال، بحجة أنها طقوس الجماعة، الأمر

٤ مقتبس من مقال ل(جهاد الديناري) - موقع اليوم السابع و بالطبع ليس من تأليف المؤلف وينتهي عند العلامة (***)

الذى تطلب التدخل الأمني الصارم.

وبالفعل اختفت الظاهرة من مجتمعنا المصري، لكن لا نستطيع القول بأنها انتهت تماما أو حتى قضى عليها، وهذا ما تؤكده بعض الأحداث الأخيرة واتهام إحدى فرق «الميتال» بعبادة الشيطان، وهى القضية التي لم تثبت صحتها من زيفها بعد، لكنها تؤكد بشكل أو بآخر أن هذه الطقوس الماجنة والتي تحلل الجنس والشذوذ والقتل تحت مسمى عبادة الشيطان ما زالت موجودة، لكنها بعيدة عن الأضواء.

* * *

اقتل ما رغبت في ذلك!

***

كنت متسع الحدقتين اصغي لتلك المعلومات التي يسردها وقد أبهرتني ثقافته بحق، او لربما انا الغير مطلع على مثل تلك الأمور ولكن على كال حال شعرت إنني أتيت للشخص المناسب ..

رشف رشفة من كوبه، وتنفس نفسين من مبسم نارجيلته وكأنه الأكسجين، وأطلق سحابة دخان كثيفة، ونظر لي بثقة أقرب للخبث وقال :

- كل ذلك معروف .. ولكن سأروي لك الان القصة وعليك أن تصغي لي جيدا
- اعلم لأنك لن تعيدها مجددا
- بل لأنها هامة جداً

***

عرفت اذن معلومات عن ذلك الكيان، وعرفنا ايضا ما كان يحدث في قصر «البارون» لمحاولات استحضار روح (الشرير الاعظم) .. كما عرفنا ايضا

ان القتل والخطف ومثل تلك الاشياء مباحا عندهم، حتى ممارسة الجنس مع الحيوانات، وشرب دم الاطفال – والذي كان يعد من احدي الطقوس – يقال انه بالفعل حدث، ونجحوا في استحضاره ولكن يقال أنه تم قتله على يد احدي الابرار، في حوش يدعي (حوش عيسى)، وبالطبع جميع الشيطانيين في العالم علموا بالخبر، فصار عليهم أن يحيوه من جديد، ليأتي مرة اخري اشرس و ألعن مما سبق ..

ويجب أن يتم الأمر في حوش عيسى، ولكن يجب اولا تقديم القرابين

– قرابين !

اكمل موجها كلامه لي :

نعم وما يخيفني حقا أن تلك التفاصيل التي رويتها عن ذلك المجرم المبهم وتلك القضية الغريبة، تشير لحد كبير إلي صحة ذلك الأمر ..

أن تلك القرابين من نوع فتيات يافعات .. للدقة هن عذاري لم يدنسوا دمائهن بعد بالزواج والانجاب، ما زلت تجري في دمائهن الحياة .. ما زلت دمائهن طازجة!

صحت من الحماس :

- ذلك يشبه كثيراً ما استنتجته عن الامر مع جهلي طبعاً عن تلك القصة

نفخ اخر سحابة دخان قبل ان يسعل، وترهقه رئتيه فترك مبسم النرجيلة جانبا وأكمل :

- نعم ولكن، تلك القصة قرأتها في كتاب ما لا أتذكر اسمه الان .. ولا اعلم مدي صحتها؛ فلا أجزم على ان كل ما قلته صحيح
- ولكن كل الامور تقول انه صحيح
- نعم ان اقصد القصة ذاتها لكن ما يحدث، لو اردت تفسيري انا .. لو كانوا مجموعة فلربما يكونوا مجموعة من الهواة المتحمسون في الشيطانية، وهم بالفعل يشرعون في التنفيذ .. وقد تحولوا في ذات الوقت لتشكيل اجرامي محترف كما يبدو
- لا يهم أن كانت القصة حقيقية فعلاً ام لا .. لكن لم تخبرني كيف يقدمون دماء تلك الفتيات كقربان لاستحضار (الشرير الاعظم) ؟
- أنهم ببساطة يذبحونهن ! .. ويروا بدمائهن أرض حوش عيسى، واما بعد..

- لا يهم ماذا بعد ذلك! .. يا لبشاعة الأمر! .. يجب إيقاف ذلك المعتوه إن لم نستطع انقاذ المفقودات السابقات!

- نعم بالتأكيد هذا عملكم انتم، انتمي لكم التوفيق

نهضت و ودعته، بالفعل اتيت للشخص المناسب، وبالفعل افادتني تلك الجلسة الغنية بالمعلومات .. ولكن مازال السؤال موجودا أين أجد ذلك المجرم؟ .. اين؟

* * *

(1)

تدخل من بين الظلام الذي اصبح جزءا منك للأبد .. تمسك في يدك دلوا به سائل ما .. سائل أحمر اللون .. لعله الدماء وقد جمعتها داخل ذلك الدلو، تغرق الأرضية التي تمتص السائل الذي ترميه هنا و هناك وكأنك تروي حديقة ما..

هل ذلك صوت الندم ام صوت البكاء؟ .. وهل أنت قادر على البكاء يا (سمير)؟

تخرج وتقفل وراءك جيدا، تنظر في الانحاء حولك فلا تجد غير الخواء.. ان ذلك المكان مختار بعنايه وكأنه أعد خصيصا لذلك الأمر منذ سحيق الزمان .. بالفعل هو مكان بعيد عن الانظار .. وبعيد عن (داليا) .. ويصلح لجريمة قتل اخيرة!

يصلح ايضا لمقبرة أكثر مما يصلح لاستحضار روح (لوسيفر) ذاته..

تتصل بأحدهم، هو شاب سمين الجسد هو (بولد- لوفر) كما هو واضح.. الذي مليء وجهه بالثقوب و الاقراط، ودق عددا لا بأس به من الوشوم .. تخبره بالانجليزية بأن كل شيء على ما يرام .. وإن الموعد اقترب . اقترب للغاية..

وإن الأرض ستشرب حتى تروي ظمئها..

* * *

(14)

(علاء سالم) الذي ندم على فعلته، ويرجى السماح.. والذي تحمس لإنهاء الامر كبطل من أبطال القصص و الافلام..

* * *

لقد ازمعت اخيرا على فضح ذلك المسخ اللعين، بعدما عرفت كم الجرائم التي تسبب فيها، وكم المفقودات التي يتزايد عددها يوما عن يوم .. لقد حسم الأمر، ولكن بعدما ابعث الوغد الصغير إلي مدرسته، وبعد القليل من العمل ثم محاولة الخروج مبكراً، ثم الذهاب إلى قسم البوليس..

ذهبت و في الأخير اقتادوني إلي مكتب ذلك المحقق من المباحث؛ والمسئول عن تلك القضية (عماد فخري)؛ كما كان مكتوبا علي اللافتة الصغيرة الموضوعة على مقدمه المكتب .. عندما دلفت لمكتبه، كان جالس على كرسيه شاب ويبدو من الطراز العصبي، يمتلك شاربا لا بأس به كأي ضابط يحترم نفسه، كان يبدو عليه الارهاق، والصداع، حيث كان جالسا ساندا رأسه على راحة كفيه، وعيناه ترمقانني في ملل وفتور.. يبدو ايضاً انه كما نقول (حريقة سجائر)، حيث يدخن الكثير من السجائر التي

كانت متكومة علي شكل تل في المطفأة، عزم علىَ بواحدة فأخذتها واشعل بدوره واحدة ثم سألني السؤال المنطقي المتوقع :

- هاا؟ .. قل ما عندك
- كل الأمر هو يا سيادة الباشـ..

اهتز جيبي مصدرا نغمات مما يدل على أن هناك اتصالا.. فرحت اخرجته من جيبي كي اطفئه (cancel).. الا أن المحقق (عماد) سمح لي بالرد ..فرديت

وما سمعته لم يكن حسن أبداً .. ولم يكن أفضل خبرا سمعته اليوم .. ولم تكن خالتي تتصل للاطمئنان!

لقد اثار هلعي .. الصوت الغليظ الذي يتحدث بثقة لا تصدق- هو صوت احدي افراد العصابات الذي يتصل كي يهدد - وبالطبع كان المتصل يهدد ويقول:

- أن تكلمت بحرف واحد، فأعلم أنك ستفقد أبنك للأبد

أن ابنك عندنا وهذا يدل على انه في خطر داهم .. وكي تستعيده عليك بالاستماع إلى التعليمات جيدا، وغير ذلك ودع أبنك للأبد

ثم اتاني الصوت المؤكد على كلام الرجل وعلى انهم لا يمزحون :

- (بابا اين انت؟)

- انا قادم.. قادم يا صغيـ

ثم عاود الصوت الغليظ مجددا :

- كما سمعت بنفسك نحن لا نمزح معك !

هيا أخرج الان من مكتب ذلك المحقق دون أن تخبره بشيء ...

كليك !

بالطبع اغلق الخط، تاركا اياي مصدوما، وقد توقف الزمن لهنيه بالنسبة لي طبعاً، ثم افقت على صوت المحقق (عماد فخري) وهو يقول : ماذا بك؟ .. هل انت بخير؟

قلت :

نعم .. نعم انا بخير، يجب .. يجب ان اذهب الان

- ولكن الـ..

- حالا !

* * *

اخبرته ان امي في المستشفى، او ان ابني اصابه حادث مروع – لا قدر الله– لا اذكر تماماً ما قلته فقط كنت شاردا بحق، والرجل لاحظ توتري،

و عدم وعيي الذي ظهر واضحا على وجهي .. وخرجت راكضا للشارع لا اعلم لأين اذهب ..

في المدرسة قالوا أن احدهم جاء وأخذ الطفل، وصحت بهم كما يجب أن افعل وانا امسك احدهم من ياقة قميصه :

- وكيف تعطوا الاطفال لأي شخصا يطلب منكم ذلك او يدعي أنه أبوه او صديق ابوه؟!!

لا اذكر بالضبط ما كان الرجل يقوله، ولا التبريرات التي كان يبرر بها موقفه ويدافع عن نفسه فقط اتذكر ما قلته أنا :

- أنكم مستهترون ! .. مهملون ! ..
- سأودي بكم في داهية! ! .. ستدفعون الثمن غاليا أن لم يعود بني الصغير!!

وكلام من هذا القبيل الذي اخذت اصيح به بأعلى صوتي بينما تبرز عروقا في رقبتي.. حتى نبح صوتي وشرخت حنجرتي.. حتى لم يعد لي صوت!

واتاني اتصالا أخر، فرديت عليه بسرعة البرق..

وكان ذات الصوت يقول:

- رائع.. الان اسمعني جيدا

***

(15)

بدء الأمر في ولاية من احدي ولايات (الولايات المتحدة الأمريكية) ..

* * *

اكتشفت مذكراته اخيرا، وتحمست لقراءتها، ومعرفة اشياء كثيرة ذي اهمية بالتأكيد .. لكن كنت متوجسة من أن يعود فجأة ليضبطني اتطفل على مذكراته وقد يقتلني حينها لذا قررت ان أخذ نسخة منها .. التقط لها بعض الصور واعيدها إلي مكانها، ثم أقراءها فيما بعد.. وقد فعلت لكن عندما تصفحت مذكراته تلك التي قرر كتابتها حديثا، لم أجد الكثير فقط بضع وريقات، فطنت إلي انه مازال يكتبها..

اذن معنى هذا انني لن اعرف القصة بأكملها مرة واحدة، علىَ اذن بقراءة جزء جزء ..(ولسوف اجمعها لكم في السطور التالية)

ليس أخي على العموم من هواة كتابة المذكرات، ولم يكتب مذكرات في حياته قط.. ومعني ان يفعل أن هناك شيء ما مريب في الأمر .. لذا ايضاً قد يكون ما يكتبه مقتضب أكثر من اللازم، او يفتقر للمهارة السردية، والوصف .. او اشياء من هذا القبيل .. ورغم كل شيء سأحاول صياغته انا بأفضل طريقة ممكنة

* * *

لقد بدء الأمر في احدي ولايات (الولايات المتحدة الأمريكية) .. عندما حزمت حقائبي، وذهبت للمطار كي أذهب إلي

(نيو يورك) .. بالطبع لم يكن لخيالي العنان الكافي لكي يتخيل ما سيحدث بعد ذلك، ولم اتوقع أن اقابل (ديانا)

(ديانا) الرقيقة الهشة والتي سأعرف فيما بعد انها على اسم إلهة القمر ..

قابلتها بينما انا جالس عند السيد (إليجاه) ؛ والذي كان ابيها والذي قال لي شاكيا من حال ابنته التافهة، الحمقاء التي تتغير كالثعبان كل يوم .. وقال ان هذه طبيعة ذلك الجيل المتهور، السريع .. كانت تغير ديكور غرفتها كل يوم .. تغير موضة ثيابها كل يوم .. تغير قصة شعرها كل يوم.. حتى بدء الرجل في ملاحظة تغيرات اغرب، كالوشم التي وضعته على جسدها ثم الأقراط في انفها و اذنها، مما غير شكلها إلي حد ما .. لسانها الذي كان احمر اللون دوما رغم شحوب بشرتها الواضح ..

ظننت انه فقر الدم، نظرا لكونها نحيفة ببنية جسدية توشي بالرقة فذلك الجسد بالتأكيد غير قادر على الإيذاء..

***

كنت اتردد انا على بيت السيد (إليجاه)؛ لأنه بالمناسبة صديق عمي، والذي يعمل في مجال العقارات والذي انا سافرت إليه اصلا ليوفر لي العمل معه ..

فكانت الفرصة سانحة لي دوما لرؤية (ديانا) تلك، التي كانت تبتسم دوما في دلال مغرٍ مفعم بالانوثة، والرقة .. ذلك الدلال القادر على الإيقاع بأي رجل مهما كانت قوة تحمله.. او هذا ما احسبه..

جلسنا معا وحدنا ذات مرة، وشعرت انها كطفلة لا تمتلك خبرة في العالم الموحش الذي نعيش فيه، ويمكن بسهولة شديدة سحبها إلي اي طريق غير جيد .. او خداعها بسهولة..

لا اخفيك سرا لقد اعجبت بها، وتعلقت بها ايضاً، لا أعلم لربما لأنني كنت وحيدا وكانت هي تلك الوحيدة التي يمكنني ان اسميها صديقة؟ .. تم لأنها اول كائن أنثوي في حياتي؟ .. لا ادري ولكن ما شعرت به حتما

هو شعور لم اشعر به من قبل؛ لذا كنت كالمخمور، هيمان يوشك على الذهاب بوعيه إلي افاق بعيدة ..

قالت لي وهي تأرجح قدميها في الهواء :

- لقد افسدت الاخلاق العالم ! ..
- الأخلاق؟

* * *

وكانت لها بعض الآراء الغريبة والمختلفة وربما كان منها الشاذة ايضاً .. مثل :

«أنك لست في حاجة لأحد وأن سعادتك من ذاتك لا يعطيها لك أحد، وليس لأحد أن يمن بها عليك، وفى الحب يكون التفريط في حقوقك فلا تحب، وانتزع حقوقك من الآخرين»

وبدت لي قوية وقتها ربما إلي حد القسوة! .. رغم تناقض ذلك مع مظهرها وشخصيتها الطفلة ..

ثم قالت شيئا اخر :

«لا تحب جارك وإنما عامله كأحد الناس العاديين.»

« لا تتزوج، لا تنجب، فتتخلص من أن تكون وسيلة بيولوجية للحياة وللاستمرار فيها، وتكون لنفسك فقط.»

كانت تلك نبذة عن اراءها التي قالت انها تؤمن بها.. بالطبع لم احب الفتاة او حاولت الا احبها .. خاصة بعدما قالت لي :

«لا ينبغي أن تتورط في الحب، فالحب ضعف وتخاذل وتهافت، فأزهق الحب في نفسك لتكون كاملا.»

* * *

علمت انها من الفتيات رافضات الزواج، لكني اكتفيت بوجودي بجانبها فقط .. وكانت لها اراء تصل لحد كبير من الغرابة .. واصبحت تهرج أكثر في مظهرها .. تذهب للحفلات في الحانات و بالطبع صحبتني معها.. وكان ابيها على كل حال لا يمانع في اشياء كتلك لانهم لا يمتلكون ذات عادتنا .. فقط تنبيهات من قبيل: لا تكثري من الشراب!

حتى جاء ذلك اليوم المشئوم .. يوم مات السيد (إليجاه) وسمعت صوتها ممزوجا بالنحيب الممزق للقلوب وهي تزف لي الخبر باكية .. هرعت إلي منزلها ذلك اليوم ، وحاولت مواساتها لتستقر في حضني باكية ..

علمت حينها انها ليست بذات القوة التي تصطنعها، وعلى كل حال هو ابيها

***

كان كل ذلك كوم و ما بعد ذلك كوم اخر ..

لم يعد لي و لـ(ديانا) احد في الحياة غير بعضنا .. في الولايات المتحدة على الاقل .. لربما نقول الان ان كل شيء بدء فعليا بعدما سافرنا إلي (اوهايو)، تحديدا إلي (توليدو) وهي داخل ولاية (اوهايو) ..

لقد احببتها حقا، وشعرت انها بالإمكان ان تبادلني ذات الشعور؛ فأي رجل وأي انثي يمكنهما ان يهيما في بعضهما حبا أن استباحت لهم الظروف ذلك.. لربما الظروف القاسية ايضاً .. او لأنهما فقط وحيدين في عالم فارغ، او مزدحم لدرجة أن لا احد يعبئ بهما غير بعضهما..

***

في (توليدو) بعدما مر على وفاة السيد (إليجاه) أسبوعان، ومر على فترة وجودي في الولايات شهرا و أسبوعان .. لم تنتهي امر الذهاب للحانات بعد؛ لم احب ان اقيد عنقها وأفرض عليها عادات و شخصية الرجل الشرقي ذو الدم الحامي.. خاصة مع شخصية كشخصيتها فلا يوجد بيننا

ارتباط من اي نوع ما بعد غير الصداقة .. وعلي كل حال يمكنها الاختفاء من عالمي فأبقى وحيدا .. فخضعت لما تريد ..

كانت تشرب كثيراً وكأنها تريد النسيان، وتترنح من فرط السكر وتسقط على يداي لأصعد بها إلي سلم الفندق قاصدا غرفتها، وهي حافية القدمين تمسك بحذائيها في يدها كي تستطيع المشي دون ان تسقط مرارا...

حتى وجدت نفسي في ذلك اليوم تعانقني وتعترف بحبها بينما هي لا تعي ما تقول والحقيقة لقد سعدت بذلك الامر. وصرنا نشرب اثتنينا و نلهو يومياً..

* * *

تعرفت (ديانا) على شلة ما، او لعلها كانت تعرفهم من قبل.. وما علمته فيما بعد انها جاءت إلي هنا خصيصا إلي (توليدو) كي تقابلهم .. وكانوا غرباء الشكل حقا!

الرجل والنساء يرتدون الاقراط في الاذان و الانوف .. الوشوم التي تملئ الجسد... بعد ذلك عندما انخرطت بينهم أكثر سأراهم يرتدون القلادات ذان النجوم الخماسية .. يشربون الخمور طبعاً .. وبعد ذلك سأراهم يشربون سائل احمر ما .. كأنه الدماء! ..

* * *

بعد ذلك بفترة قصيرة بدأت شخصية (ديانا) تتغير .. صارت شخصية المرحة الطفلة تتلاشي بينما يطغى عليها طابع الرهبة و .. ربما هو النضج؟ .. ولكن لا.. أن (ديانا) كان بها شيئا ما جميلا واختفى للأبد...

ان (ديانا) صارت غريبة جدا..

ورغم ذلك تغاضيت عن الأمر .. واعتقدت انها هرمونات النساء، او فترة وستمر، او حتى ظلت هكذا فسأظل معها ايضاً ..

وكانت (ديانا) هي البوابة لدخولي إلي تلك الشلة المدعوة ب(شيطانيين) ! .. و بالطبع اثار غرابتي الاسم في البداية، واثار اشمئزازي منظرهم المنفر! .. واثار ذعري اسمائهم

احدهم كان سمين الجسد يدعى (بولد– لوفر) – بعد ذلك سيكون الأقرب الي، والذي سأخبره بالمعلومات باستمرار– واخريين هما (سن– اوف– ساتان) وهو زنجي يشبه المسخ تماماً، قوي البنية .. و(سيفاك) ، و(اركون) وهو القائد والذي سيظل في الولايات ولن يغادرها معنا..

بعد مدة تقابلنا فيها كثيراً، ولعبنا الورق او للدقة القمار .. وشربنا حتى الثمالة ذلك الشراب الأحمر، وكان يدوي في المكان موسيقى (الميتال).. وعلمت ان الكلام التي كانت ترددده (ديانا) من قبل هو من تعاليم الانجيل الاسود، وقد عبئ في رأسها عبا حتى بدون ان تفهمه، لذا كان علينا ان لا نتزوج ولا ننجب وننغمس في اللذة؛ تلك احدي اهم الوصايا الشعر ..

بدأت اشعر بألفة نحوهم، واتقبل رويدا رويدا شكلهم، واختلافهم، و اعتقاداتهم!

حينها رسمت اول وشم علي كتفي من الأعلى (النجمة الخماسية، و حركة اليد التي تمثل قرون الشيطان)..

***

وبدأ يظهر علىَ الشحوب، وعلمت ما هم ينتمون اليه ولكن بعدما كنت اضعف من رفضه! .. وكأنه امتلكني معهم، شعرت انهم يعبدون الشيطان من اول مرة رايتهم فيها، ولكن الفضول، و المغامرة، و(ديانا) دفعوني دفعا إلي المصيدة التي ستصيدني حتما..

وغيرت بعض الاشياء في مظهري انا الاخر، وعدت لمصر مجددا انا و (ديانا)، عدنا كشبحين ببشرتنا الشاحبة، كمسخين بوشومنا واقراطنا، حتى إنني اعلم أن (داليا) اختي كانت تهابنا إلي حد ما.. عرضت عليها بيع فيلتنا وان تأتي لتعيش معنا في الولايات إلي الأبد لكنها رفضت .. بالطبع كنت اعلم انها سترفض، وكنت انتظر ان ترفض كي لا تقول أنني من تركتها وحيدة وغادرت فقط..

في الحقيقة لم يكن سبب عودتنا هو زيارة (داليا) لقد عدنا لألقاء نظرة على اهم شيء بالنسبة لنا في الفترة الحالية.. واقول لنا لأنني بالفعل صرت واحدا منهم.. واطلعت على اسرارهم، وعرفت اكثر من اللازم عنهم .. لقد عرفته جيدا لماذا اصروا على دخولي إلي مجموعتهم .. لأني سأقدم لهم الكثير.. لأني عدت لألقي نظرة على (حوش عيسي)..

***

«بالطبع في فترة التسعينات تحديدا في قصر (البارون) كانت تجرى جلسات لاستحضار (الشرير الاعظم) و..... ..... »

ذهبت للحوش الذي تقيد فيه روح (لوسيفر) ذاته، لا اعلم ان كان الامر مصادفة ولكن لماذا في مصر؟ .. ولماذا انا؟ كنت اسال نفسي هاذان

السؤلان، كانت اجابة الاخوة الملعونون أنه النداء! .. لقد اختارني (لوسيفر) ذاته لاستحضار روحه التي ترقد في بلدي .. لأنني لجدير بهذا، واستحق ذلك الشرف العظيم ..

– لا يوجد شيء يسمي بالصدفة في الحياة يا عزيزي

قالها (بولد) بينما يربط فوق كتفي، قبل العودة إلي مصر..

كان الحوش مهيبا بحق، او لعله بسبب الخيال و الوهم..

ولكن انقبض له قلبي، كانت ارضه تمتص السوائل .. كان في مكان نائي بعيد عن البشر .. وكانه اعد خصيصا لذلك الأمر منذ سحيق الزمن، ذلك ما دفعني للأيمان اكثر بما يقولون..

رغم ان المذبح يكون عادة على رسمة النجمة الخماسية، وتكون الارضية من السيراميك او الجرانيت، لكن كان هو المكان وهذا اهم شيء، لم يقول احد انه المذبح او حتى كان يحتاج لبعض التعديلات ..

وعدت انا و(ديانا) الي (توليدو) مجددا..

(توليدو) حيث اسس هنالك في الثمانينات رجل يدعي (هيربرت سلوان) عبادة تدعي (Our Lady of Endor Coven) وكان لها اتباعها..

* * *

بعدما عدنا كانت (ديانا) تتغير، وقد بدأت تنفر من شلتنا، لقد شعرت بهذا .. خاصة حين صارت تأبى ان تشرب معنا وتتقزز من بعض الطقوس التي صارت مقدسة، وكان عليها ان تموت لأنها عرفت اكثر من اللازم .. وكانت تنوي فضح بعض الأشياء كما قالت لي ونحن منفردين وجدتها ميتة وقد تم تمزيق عنقها بنصل ما، ولم احتاج لعبقرية لادرك من هو القاتل!

هكذا كان علىَ الا اتراجع واسير معهم حتى النهاية.. عدت لمصر معهم ولكني وحيدا.. وقد اعطوني خنجرا ذو مقبض اسود اللون منقوش عليه شفرة الشيطانية ..

وكان عليَ ان اتحول لمجرم، لأنهاء الامر في حوش عيسى الذي سترتوي ارضه بالدماء الشابة العذراء..

ولكن كان لدي هدف اخر ..

* * *

كان ذلك ما كتبه اخي في مذكراته على أكثر من مرة وكنت اسرقه واجمعه على مدار بضع ايام .. لكني تركت المذكرة من يدي مذعورة عندما سمعت الباب ينفتح ولم يكن حينها وحيدا ..

كان معه شلته لعنة الله عليها، وطفل صغير يغطى شعره جبينه، وديع وتظهر عليه علامات البراءة، كان في السابعة حتى التاسعة من العمر تقريباً، وقد عرفت على الفور ان اخي اختطفه!

جاء ورما به فأمسكته وضمته إلى بشفقة وحنان يحتاجهما.. وصحت به :

- هل صرت تختطف الاطفال تلك الايام؟ !
- ليس شأنك
- ليس شأني! .. ليس شأني أن تحضر إلي بيتي اطفالا مخطوفين وماذا ستستفيد؟!
- انتِ لا تعلمين شيئا
- بل انني اعلم كل شيء .. كل شيء! ايها الشيطان!

ولم اشعر بنفسي وانا اصيح فيه واقول :

- ايها الملعون، الذي تستحق نيران جهنم!

- اغربي عن وجهي!

ولم اشعر بنفسي مجددا وانا اصيح وقد اقتربت من البكاء :

- لقد عرفت كل شيء عنك .. كل شيء كتبته في مذكراتك .. انا لم اعد اطيق وجودك في حياتي!

هيا ارحل عني! .. هيا ارحل! !

رأيت عروق رقبته تنتفخ وتنفر.. وقد تحول وجهه الشاحب إلي ثمرة طماطم حانقة، وحقا لم اتوقع منه أن ...

- اي ي ي ي! . . ابتعد عني!

وجدت قبضته تمسك بشعري من الخلف تكاد تمزقه وهو يرج رأسي يمينا ويسارا صارخا :

- لقد طفح الكيل ! .. لماذا لا تصغين يا حمقاء!
- اتركني !
- لقد مللت منكِ!

وسحبني معه إلي الاعلى حيث غرفتي ثم ألقى بي داخلها ونهضت سريعا وقبل أن اركض لتمزيق عنقه كان أغلق الباب في وجهي .. وسمعت صوت المفتاح يؤكد الأغلاق!

ثم انفتح الباب مجددا بعد دقائق ليلقي بالطفل معي، وعاد المفتاح يغلق من جديد..

فضممت الطفل إلي .. الذي نظر لي بعيون واسعة بريئة وقال :

- متي سيأتي بابا ليأخذني ؟

* * *

انا قادم.. قادم يا صغيـ ! ..

***

مكثنا على هذا الحال يومين كاملين بالطبع مرا كأنهما دهرا من الزمن .. انا ومعي الطفل الصغير حبيسان الغرفة بينما أخي ورفاقه محتشدون داخل الفيلا..

لقد حسبت انه سيتركنا هنا حتى نموت وتتحلل عظامنا! .. او حتى ذبحنا واستخدام دمائنا في طقوسهم الشنيعة، ولكن اتضح ان اخي كان مازال يمتلك بعض الرحمة داخل فؤاده، حيث انفتح الباب مجددا كاشفا عن (سن–او–ساتان) ، ذلك المسخ .. فتراجعنا مذعورين من هول ما قد يحدث الا ان الأمر كان غير ذلك؛ كان يحمل في يده صينية الطعام التي وضعها وعاود غلق الباب مجددا ..

لم اعد ادري ما يحدث واختلط على الوقت، الا اني كنت اعرف الليل من النهار عن طريق الضوء المنبعث من الخارج ليجد طريقه إلي الغرفة التي صارت سجننا..

كان الطعام يصعد لنا اكثر من مرة في اليوم، حتى لا نموت راودني هاجس ان اخي بلا رحمة فعلاً ولكنه يؤجل الأمر لوقت ما، في رأسه شيء لا أعلمه .. لا ادري ماذا سيفعل بذلك الطفل المسكين؟ ..

الطفل الذي فقد القدرة على الصمت وعلى التحمل، فصار يبكي الا انه اتضح انه رجلا صغيرا حقا، لم يعتد الرفاهية المبالغ فيها .. كان حمولا وقد الفنا بعضنا

مر يوم تلو يوم ..

وانفتح الباب ولكن تلك المرة كان اخي الذي سحب الطفل واخذه وذهب، ولم يكترث لي وانا اتشبث بذراعه .. وانا احاول الهروب... وانا اتوسل له .. ثم أسبه غاضبة!

لقد تركني حبيسة هنا وحدي، ولا اعلم الا متى، ولا ماذا سيفعل بالطفل! .. الذي ارتعبت من مجرد تخيل كيف سيكون مصيره!

***

(16)

(علاء سالم) الذي كان يريد أن ينهي الأمر كبطل من ابطال القصص والروايات وان يعيد حق المفقودات .. وان يحمى باقي النساء.. ولكن عليه انقاذ طفله اولا! ..

* * *

وبالفعل انصت له جيدا، ورضيت بما يقول كي لا أخسر فلذة كبدي .. قال الصوت عبر الهاتف :

- **لن نؤذيه، ولكن تأكد اننا لن نتراجع لحظة عن فعل ذلك أن لم تنفذ ما نطلبه**
- **سأنفذ كل ما تريدونه**
- **كل ما عليك هو ان تبتلع لسانك لمدة يومين فقط، عندئذ ستأتي لتأخذ ابنك و ترحل**
- **سيمكث عندكم يومين؟!**
- **نعم .. حتى نضمن ان لا تخلف بوعدك، لا تقلق عليه ولكن كما قلت لا تتذاك و لا تعتقد انك قادر على خداعنا**
- **حسن.. فليكن، ولكن ارجوك اعنوا به جيدا**

– كليك !

اغلق في وجهي طبعاً، وهكذا عدت لمنزلي كئيبا، حزينا لا استطيع النوم ولا التفكير المنطقي، لم يكن امامي غير الخضوع لهم .. وعرت فعلاً ان ذلك جزاء من يلعب بالنار، وإن تلك هي بداية لعنة المال ..

من يجري وراءه فأخرته الهاوية او بالوعة الجشع ..

* * *

لقد انتظرت يومين على احر من الجمر.. لقد انتظرت بينما تتمزق اعصابي و نياط قلبي .. لم اعلم من قبل مدي حبي لذلك الوغد الصغير ولكن بالفعل هو جزء منى ..

اتخيله وهو جالس منكمش على نفسه في غربة مغلقة مليئة بالفئران وربما الثعابين ايضا! .. اتخيله وهو جائع .. وهو يرتجف من البرد؛ لأن بالتأكيد الأرضية مبللة

افكر كيف يعاملونه؟ .. هل يضربونه حينما يأبى؟ حينما يعند؟ .. حينما يسأل ببراءة :

– اين بابا؟

افكر فيه كثيراً وارتجف بدلا منه .. وأتألم لتخيل أنه يتألم ..

ولا استطيع النوم، حتى اتاني اتصالهم الذي انتظره
ذات الصوت الواثق من انه وغد يخبرني أن اذهب لهم في مكان ما
واخبرني العنوان الذي دونته جيدا حتى لا يتبخر من ذاكرتي ..
حسبت انني سأذهب إلي الڤيلا ولكن كان عنوان اخر، بعيد حقا،
يحتاج لما يقارب الثلاث سويعات حتى اكون هنالك .. عنوان في محافظة
(..) منطقة (..) ثم إلي الداخل أكثر حتى (حوش عيسى) !
(2)
اراك تقترب من هدفك اكثر يا (سمير) .. اكثر مما توقعت في الحقيقة،
لقد صارت الارض شائكة والملعب مليء بالمخاطر، ولكنك تستمر ..
تستمر كي تستريح للأبد، رغم انك تعلم جيدا ان ذلك لن ينقيك من
الدنس الذي مليء روحك للأبد ..
ولكنك تفعل، من اجل (ديانا) تفعل .. من أجل(داليا) ..
من أجل أخرون قادمون .. من اجل اطفاء النار التي تتضخم وتلتهم قلبك
حتى حال إلي قطعة من الرماد .. لربما لم تعد انت منذ غادرت ثيابك
وانسلخت من جلدك، فيجب التحرر من القيود .. من الجسد وكل ما
هو مادي ..

* * *

تتأكد بكل شيء بنفسك .. لقد خابئتهم بعناية في اماكن لن يتوقعوها .. لقد صار الفيصل هو بضع سويعات فقط .. وكل شيء على ما يرام

تشعل سيجارة وتدخنها بعمق لأن لم يعد ما يبكى عليه، ولكن لماذا تنظر إلي الفراغ بذلك الشجن؟ إلي السماء والاشجار والطير والقطط والكلاب هل تحن للحياة؟ .. هل تراجع قراراتك و قناعتك؟ ..

ولماذا تنزلق من عينك دمعة؟ ..

لا لا لا يا (سمير) ! .. لست انت من تبكي

لست انت حقا

(17)

في تلك المرة استجمعت قوتي وشجاعتي، وبحثت في الغرفة التي هي سجني الان عن شيئا يصلح لتهشيم الرأس فلم أجد غير (ملة) السرير – بضم الميم – وتوضيحا سريعا للأخوة الذين لا يعرفون معني الـ (ملة) هي قطع الخشب المستطيلة التي توضع تحت مرتبة السرير ..

ها هي ذي معي، بين يداي اتشبث بها جيدا وامنعها من الانزلاق بسبب تعرق يدي الناجم عن التوتر والخوف.. وانا اسمع الخطوات تقترب .. اصغي لها وانتظرها، ويجب الا افشل .. يجب أن..

– طاااااخ !

على راس (سان– اوف – ساتان) البشع انهالت عليه بالـ (ملة) التي اصدرت الصوت (طرااااك) قبل أن ينظر لي نظرة ارتجف قلبي لها وانقبض !

ثم .. سقط ارضا مغشيا عليه .. لقد نجحت!

***

لقد تحررت!

خرجت بحذر اتسلل على اطراف اصابعي؛ كي لا ينتبهوا الاخرين..

ونظرت من الاعلى.. كان يجلسون ثلاثة هم اخي واثنين من رفاقه ..

كنت ابغى الهروب خارج الفيلا تماماً، ولكن الطريق مغلق، اخذت افكر فيما يمكن فعله فلم أجد حلا اخر غير الانتظار حتى ينهضون لفعل اي شيء اخر..

ولم اعلم ماذا افعل بذلك الملقى على الارض، توجست خيفة من ان ينهض في اي لحظة ما، بينما انا ها هنا اعاني من شلل التفكير،

هل اضربه ضربة اخري على رأسه؟

انه مازال حيا لقد تأكدت من نبضه بنفسي، لأني لا أقتل حتى وإن كان مجرم يعبد الشيطان و يشبه المسخ..

كان المفتاح مازال في فتحة الكالون، فأغلقت عليه الغرفة وحبسته داخلها لكن لم البث طويلا حتى وجدت من يصيح بالداخل، ويطرق الباب بعنف حتى كاد يهشمه

-(Get me out of here, damn youyo)!

(اخرجوني من هنا عليكم لعنة الشيطان!)

انتبه الجميع للصوت، ورأيتهم صاعدين للأعلى، وقد تلوت الشهادتين لأنه علما يبدو تلك هي نهايتي!

***

بالطبع صعدوا وفتحوا الباب وحرروه بينما انا ارتجف كورقة بينهم، الشعور يختلف تماماً عندما تجد نفسك واقفا بين مجموعة مسوخ مشوهين الأوجه من عبدة الشيطان، وانت تعلم أنهم مجرمون يحبون الدم وسفكه، ولا يعنون بالانسانية شيئا! ، ويقتلون الفتيات.. خصوصا عندما تكون انت الواقف بينهم فتاة!

خرج (سان– اوف– ساتان) غاضبا يمسك رأسه موضع الضربة و هو يتقدم نحوي ليظفر بي وينوي تهشيم عنقي

ولكن اوقفه أخي، ووجه كلامه لي :

- أنتِ لا تدركين عاقبة ما تفعلينه! .. انا احاول حمايتك!
- انت اصبحت شخصا لا اعرفه! .. بل واخاف منه! .. كل ما اريد هو تركي وشأني ولتحل عليك اللعنة!
- (داليا) صدقيني انا.. انا
- انت قذر !

ولم اشعر بنفسي وانا اقول ذلك منفعلة، ولكنى شعرت بصفعته المدوية التي انهالت على وجهي! ، وشعرت بالدماء تدفق إلي وجهى الذي غالبا صار باللون الأحمر .. ثم نظر لي ونظرت له بدون كلمات لأن النظرات كانت كافية.. شعرت بدموع تنزلق من عيني، وتأبى التوقف، بينما اضع يدي على موضع الصفعة (خدي) بالطبع.. رغم ان الصفعة كانت في كرامتي واهتز لها كياني كله..

قال موجها كلامه لي :

- سترتاحين مني للأبد يا (داليا) تلك أخر لحظة سأكون فيها في المنزل .. في العالم كله!

ثم قال موجها كلامه للأوغاد الثلاثة :

- هيا يا رفاق .. اتركوها وشأنها، فعلى كل حال موعد مغادرتنا الان ..

وذهبوا ثم بكيت انا، وشعرت بأنني حطام .. ولكن كان يجب ان استمر وكان يجب انهاء كل شيء !

* * *

(18)

اشربوا دم الصغار واصنعوا منه حساء!

(علاء سالم) الذي اقحم نفسه في امورا شنيعة لا تخصه من اجل المال ..

* * *

كان على اذن الذهاب لذلك العنوان قاصدا (حوش عيسى) حيث ينتظرونني هناك.. ولكن ذهبت اولا إلي الفيلا، كي اقابل (داليا) .. والان حان الوقت لأخباركم بسر صغير؛ لم اخبركم به من قبل لأن (داليا) اصرت على ان يكون سرا بيني وبينها فقط .. وربما نحتاج ايضاً إلي العودة بالزمن والاستعانة بما يسمونه (الفلاش باك) :

عندما ذهبت الفيلا في المرة الاولى، وقمت بمساومة المدعو (سمير) ذلك القاتل المشهور بـ (خاطف النساء) .. واخذت منه حقيبة المال التي سال لها لعابي، والتي كانت بداية ذلك الجحيم الذي انفتح بابه علىَ .. وجدت من تنادي من شرفة ما بدور العلوى، كما تنادي انت القطة عن طريق (بس بس بس !) نادتني فنظرت لها وسألت :

– ماذا تريدين؟

- لن نستطيع الكلام بأريحية ها هنا فقط سريعا خذ

والقت بورقة دونت فيها رقم هاتفها، واكملت :

- عليك الاتصال بي فور وصولك المنزل !

ولا تسأل عن شيء الان، ولا كأنك رأيتني، ان الموضوع اخطر مما تتصور ! ولكن اذهب الان !

* * *

وبالفعل ذهبت وقابلتها وجدتها تسألني :

- جاوب بصراحة .. ما الزلة التي تمسكها على اخي؟
- هذا ما كنتِ تريدينه اذن؟ .. لا شيء، لا يوجد زلات اننا مجرد صديقين
- لا تخدعني، انا اعرف كل شيء، واعرف انك تحب المال ايضاً .. لذلك خذ ما تريد مقابل ان تخبرني بكل شيء ..
- لقد أخطئت في تحليلي يا (آنسة) انا لست كلب للمال كما تظنين بالطبع توجست من ان افضح الوغد (سمير) فلا احصل على اي شيء او اوقع نفسي في المتاعب التي لن انجو منها، خاصة وانني هكذا اصبحت

شريكا له في الجريمة بسبب التستر عليه! .. وكان الأمر مريبا وغامضا لذا فضلت الصمت ولكنها اصرت!

- ارجوك اخبرني بكل شيء! .. ان الامر خطير حقا!
- لم تخبريني بعد من أنتِ؟ .. هل انتِ شقيقته؟
- نعم انا من شاء القدر ان اكون شقيقته

وكذلك نسيت ان اصفها لكم .. كانت بيضاء البشرة، جميلة فعلاً، يبدو انها رقيقة ايضاً، تمتلك عيون لها سحرها الخاص خلف عوينات تلمع من ضوء الشمس الساقط عليهما من الوهلة الاولى يمكنك أن تزعم على انها ذات ثقافة لا بأس بها، فهي تشبه اولئك المثقفين على كل حال..

اصرت وحاولت اقناعي ونجحت وبالفعل، شاهدت الفيديو الذي يظهر اخيها و هو يقتل فتاة بريئة .. وهي كانت رقيقة فعلاً لم تتحمل المشاهدة غير مرة واحدة، وضعت يدها على فمها بينما عيناها مصدومتان، واوشكت على ان تبكي..

قالت انها لم تتصور ان يصل الأمر لذلك الحد! .. وقالت ان يجب على مساعدتها، وانا وافقت؛ اول سبب هو ان النقود ستتحول من حرام

لحلال .. وثاني سبب إني سأتقبل نفسي اكثر وانهي الصراع الذي كان بداخلي بعدما شعرت إني وغد رعديد ..
وانتهى اللقاء ولم اقابلها مرة اخري..

***

حتى ذلك اليوم، اتصلت بي (داليا) تطمئنني ان ابني معها، وانهما الأثنين حبيسان في غرفتها.. وقالت لي لا تقلق عليه فقط افعل ما يأمرونك به حتى أحد حلا ما .. واستمعت لصوت (محمد) حينها وكانا يتكلمان بالهمس .. اطمأننت عليه وطمأنته بأن اباه لن يتركه أبداً..
واخر اتصال اخبرتني أن الفيلا فارغة وهي وحيدة وطلبت منى الذهاب اليها بأسرع ما يمكن؛ عرفت ايضاً أن المدعو (سمير) أخذ الولد وذهب، بالتأكيد ذهب لـ (حوش عيسي) الان باتت الأمور واضحة، ولكن لماذا ذلك المكان بالذات؟

***

الان انا و (داليا) في سيارتها الخاصة، المفعمة بالعطر الجميل الانثوي .. و انطلقنا قاصدين (حوش عيسى)
قلت لها بينما نصارع الزمن :

- كيف استطاع الوصول لأبني؟ ..
- لقد كان يراقبك المسخ (سن- اوف- ساتان)
- ماذا؟!
- انه موضوع كبير .. ربما تعرفه فيما بعد
- و لماذا ذلك المكان بالذات؟
- بالتأكيد لاستحضار روح (الشرير الاعظم) !
- م م ماذا؟!

بالفعل كنت اشعر بالغباء، وبالتأكيد كان على وجهي علامات العته بينما انا فاتح فاهي في ذهول .. قالت :

- أنه موضوع كبير حقا
- في رأيك ماذا سيفعلون بالولد؟!
- لا تقلق فربما هم يريدون ان يجعلوك تصمت ولا تبلغ الشرطة حتى ينتهوا من مرادهم، وابنك هو مجرد ذراعك التي تؤلمك

فابتسمت انا بخبث و هي تنهدت وقالت وهي مستمرة في النظر إلي الطريق :

- ما اخافه حقا، ان يفعلوا غير ذلك انهم غير رحيمون وعندهم طقوس غريبة و القتل بالنسبة لهم كلعبة البولينغ ! .. ان الصغير لا يستحق هذا بالتأكيد

ثم نظرت نحوي واكملت :

- ولا انت ايضاً !

بالفعل انا لعبت بالنار لأحظى بفرصة الاحتراف في الجحيم ذاته! مغامرة من نوع فريد حقا، ولم تكن على البال ولا على الخاطر.. وقفت ونصبت ظهري للخلف – لأن السيارة بدون سقف– واخذت اكبر كم من جرعات الأكسجين بينما هي تشد اطراف سروالي وتقول مذعورة :

- اجلس ايها المجنون! ستموت هكذا قبل أن تجد طفلك

***

مر الوقت سريعا وكنت اعرف ان الأمر ليس سهلا، وكنت بصراحه خائف مما سيحدث، ولكن كنت اتمني المساك بذلك المجرم الذي يظن ان لا احد يقدر عليه واصنع من عنقه مزمارا! ..

وتسألت في وجداني كيف يكون هذا شقيق هذه؟ كيف؟..

حتى اخيرا وصلنا المكان المنتظر وكانه كان ينتظر قدومي خصيصا منذ سحيق الزمن!

***

الان نحن امام (حوش عيسى) وقد دخل علينا الليل نتوارى خلف الاشجار نجلس القرفصاء .. انهم بالداخل الان لا اعلم ماذا يفعلون ولكن علي الدخول نظرا لأن بني بالداخل .. قالت لي :

- اعني بنفسك جيدا
- لا تقلقي .. ولكن اولا بالنسبة للمال الذي اخذته و..
- لا تقل شيئا عن المال الان خذه لك، انا مسامحة لك فيه
- حسنا كنت اؤكد على الأمر؛ لأني لا ادري أن كنت سأنجو من هنا ام لا .. ولا اريد ان اقابل ربي بذنوب كتلك ودين معلق في رقبتي

شعرت انها تأثرت بكلماتي، حتى دمعت عيناها وقالت :

- ستنجو .. انا اشعر بذلك (لا اله الا الله)
- ابتسمت لها، وبالطبع قلت بدوري: (محمد رسول الله)

قبل أن اذهب اعطيتني كراس صغير، اخرجته من حقيبتها، وقالت احتفظ بذلك معك حتى أخذه منك مجددا .. فأخذته ووضعته في جيبي

ودلفت للداخل متسللا..

***

دلفت إلي داخل الحوش المظلم، لأجد ابشع الخلق في حياتي! احدهم بدين، واحدهم زنجي البشرة، واخرين .. جميعهم يرتدون الأقراط، وعلى اجسادهم تلك الوشوم التي صار وصفها شيئا مملا ، وبالطبع لم احتاج لدهاء حتى اعرف انهم اجانب، كان طفلي يجلس في الزاوية محاصر بين أثنين منهم .. بينما حاصرني احدهم فور دخولي؛ وقف في اتجاه الباب خلفي كي يمنعني من الهروب اذ فكرت في ذلك ..

اما عن سمير فكان يقف فوق قطعة حجر كبيرة الحجم مما يدل على انه قائدهم .. وقال عندما راني :

- اهلا ايها الطماع
- ها انا ذا قد وفيت بوعدي لك .. اريد بني كي نرحل سويا

فأخذ يقهقه حتى كاد يسقط، وقال بنظرات تملئها الشر :

- كما يقولون أتظن ان دخول الحمام مثل خروجه؟
- ماذا تقصد .. أنا لم اضرك في شيء

- ألم تساومني وتسرقني داخل منزلي بعين لا تخجل؟ .. دعك من هذا .. ألم تكن عند البوليس على وشك ابلاغهم!
- ولكني عدلت عن الأمر... اتأسف لك ايضاً، ولكن ابني
- ما خطب ابنك؟ .. ليس به خدش ما ها هو ذا تفحصه بنفسك

فأوسعوه له الطريق ليركض حتى يستقر داخل حضني، ووقفت وانا انظر لـ (سمير) نظرات المقط .. الذي يبدو انه لا ينوي خيرا ..

أكمل حديثه قائلا :

- أرأيت؟ .. ان ابنك على ما يرام

حانقا قلت :

- سأفعل كل ما تريده!
- ما اريده انا بالفعل سأفعله !

***

قال الشاب السمين – بالطبع سيترجم لكم المؤلف – والذي هو (بولد–لوفر)

- دعك منه يا (سمير)! الان .. المهم هل احضرت الفتيات او دمائهن؟

وجه نظره نحوه وقال بنبرة حادة :

– اما عنكم انتم ايها الاوغاد القذرون!

والواضح انه قال كلامه كالذي قاله لي لأن وجوههم تبدلت من الصدمة ..

– لا تقلقوا سيكون كل شيء على ما يرام .. كما خططت له تماماً ..

انتم خدعتموني وخدعتم (ديانا) ، وعلى ما يبدو انكم ايضاً حمقي لا تفقهون شيئا، انا اعلم انكم من قتلتم (ديانا) لأنها ادركت حقيقتكم الشنيعة،(ديانا) الفتاة الوحيدة التي احبها قلبي .. (ديانا) التي كانت الجسر الواصل بيني وبينكم !

الواضح انه يقول كلاما مؤثرا كما يحدث في الافلام لأن عينه احمرت وترقرق بها الدمع :

لقد حولتموني لمسخ ايضاً يشبهكم! ، جعلتموني مجرما، جعلتموني مختلا .. قاسيا .. لا اصلح كي اعيش في الحياة مجددا، وان اتأقلم بين الناس بينما ذلك الكم القذارة و السواد بداخلي .. كان يجب انهاء الأمر والأخذ بثأر (ديانا) ..

انتهزت تلك اللحظة الذي وجدت جميعهم فيها من أثر الصدمة غير عابئين بي .. وهناك سر صغير اخر لم اخبركم به بعد؛ لأنني قد نسيت، لقد اخبرت المحقق (عماد فخري) بكل شيء وكان طوال الطريق يتتبعنا هو وقواته .. والان هو يحاصر المكان من الخارج يراقب ولعله ينتظر خروجنا او اشارة استغاثة منا ..

حاولت الاتصال خلسة ولكن – كما توقعت– لا توجد شبكة في مثل تلك المواقف لا بد أن لا توجد شبكة ! .. تبا..

علي كل حال ليس هذا هو الحل الصواب...

بدأت اقترب من الباب اكثر ببطء شديد بينما ألثم فم الصغير كي لا يفضحنا، ان الامر غير مبشر بالمرة لقد رأيت في الافلام مشاهد مشابهة .. انه يقول تلك العريضة، وبعدها ينتهي كل شيء! تحدث كارثة، وانا لن انتظرها طبعاً .. يجب ان افر من هنا في اللحظة المناسبة ولحسن الحظ إني لم افهم ما يقولون، ولو كنت افهم لمت ذعرا ..

صاح (سمير) بطريقة ميلودرامية :

– تريدون استحضار روح (لوسيفر) ! .. ولما التعب؟ .. انا سأرسلكم اليه! .. سنذهب جميعا !

(19)

– «احتمليني تلك الايام، فأنها قد تكون الايام الاخيرة!

لم ارد، وخرجت متجهة لغرفتي، والجملة الأخيرة التصقت بعقلي ولم أفهم معناها .. الايام الاخيرة! .. ماذا يقصد بتلك الجملة ؟»

* * *

هنا شعرت بالفطرة الانسانية إن علىَ الفرار الان، خاصة وأنه اخرج من جيب بذلته ريموت صغير لا يطمئن أبداً!

وسمعتهم يصيحون :

– (نو! نو! نو!) .. (No! No! No!)

وهكذا اقتربت من الخروج و أخذت صغيري وانطلقت هاربا

بينما قال :

– الان !

و

(بوم ! بوم! بوم ! بوم! بوم.!)

* * *

لم اري ما يحدث خلف ظهري ولم اعي بشيء، غير اني وثبت مترين في الهواء وشعرت بأن خلفي انفجارا هائلا! بينما اسمع صوت الـ (بوم!) المتتالي..

في اللحظات الاخيرة كنت قد لمحت(داليا) تركض للداخل لم الحق ان احذرها .. لم ادري بشيء غير أن ظهري التهب وزادت حرارته كأنه على المشواة! .. ربما تمزق قميصي ايضاً ؟ .. لا ادري... لا ادري غير انني سقطت ارضا و طفلي بين يداي .. وحين تأكدت من انه حي يتنفس، فقدت الوعي وسقطت وسط الدخان الذي ملئ المكان بأكمله..

***

(20)

(علاء سالم) الذي نجا بأعجوبة .. كانت لحظات فقط وكنا سنصير رماد

(علاء سالم) الذي انهى الأمر اخيرا رغم كل شيء

(علاد سالم) الراقد في المستشفى الان !

* * *

تسألونني لما ركضت (داليا) هكذا وهي تصيح :

– أخي ! !

في الحقيقة الا ادري، ان افعال البشر الحمقاء لا تنتهي عند حد، ولكنها ارتكبت فعلاً غاية في الحماقة كان ثمنه حياتها .. الله يرحمها.. لقد علمت بالخبر

استيقظت لأجدنني راقدا في سرير المستشفى، وبجانبي رأيت المحقق (عماد فخري) الذي كنا على تواصل دائم حين اتاني الاتصال.. اصر على عدم رحيلي قبل ان يفهم ما الامر، ولم اخبركم بالأمر طبعاً لأنه كان سرا بيننا..

لم اتوقع ان يكون ذلك المخبول (سمير) قد زرع متفجرات في المكان ليحول الحوش بأكمله إلي تراب!

وما ذنبي انا وبني؟ انا اعرف ان من يريد الموت لا يصحب معه رفاق في الرحلة!

ولكن على كل حال لقد انتهي كل شيء، لقد حزنت علي خبر موت (داليا) لم تستحق تلك الموتة بالتأكيد .. واظن ان روح (لوسيفر) او (الشرير الاعظم) كما يسمونه لا تستحضر بأشلاء الجثث ..

لقد القى (عماد فخري) نظرة على ليطمئن على، وقلت له انني بخير .. فقط اشعر بالتعب والارهاق، ولكني سأخرج بعد يوم او اثنين.. لأعود للحياة الطبيعية

لم يكن (عماد فخري) سيء إلي ذلك الحد، لقد اكتشفت اليوم انه انسان طيب حقا، فقط سريع الغضب وكثير التدخين

***

تذكرت الكراس الصغير التي اعطته اياي (داليا) رحمها الله، وكأنها كانت تشعر بأنها ستموت فأعطته لي كي اعرف كل شيء .. بالطبع كان مذكرات (سمير) كما تعلمون..

فتحتها و تصفحتها للمرة الأولى :

« وكان عليَ ان اتحول لمجرم، لأنهاء الامر في حوش عيسى الذي سترتوي ارضه بالدماء الشابة العذراء..

ولكن كان لدي هدف اخر ..

كان هدفي الانتقام لـ (ديانا) .. وان اتخلص من تلك المجموعة الشاذة من البشر، لو تركتهم ينعمون في الحياة حتما سيقتلونني انا الأخر ولهذا فطنت إلي ان على التخلص منهم اولا .. وان أتغدى بهم قبل ان يتعشوا بي ..

* * *

لقد زرعت المتفجرات (اصابع الديناميت) في كل مكان في المبني حتى اتخلص منهم جميعا، وكنت اعلم اني سأموت معهم ..

لذا اكتب لك يا (داليا) ذلك الكلام .. كي تعرفي الحقيقة كاملة، وكي تسامحيني .. ارجوكِ سامحني يا (داليا) فليس لي في الحياة سواكِ ! »

* * *

ملحوظة هامة، لقد اخفيت الفتيات التي خطفتهن في منزل في المكان (..) انهم احياء لم يموتون عدا اثنتين صرخوا وقاوموني واضطررت لقتلهم .. لكن بإمكانكم العثور على الباقية .. الوداع .. الوداع يا (داليا)

* * *

على ما يبدو هكذا انتهى كل شيء، وهكذا انتهت قصتنا، لقد ذهب المحقق (عماد فخري) و زميله (لؤي) واخرون لتحرير الفتيات الذين مازالوا على قيد الحياة، وشعرت انا بالملل بينما انا في المستشفى، ففتحت جهاز التيلفزيون

كانت قناة (..) التي تعرض الاخبار اولا بأول.. كانت المذيعة تقول بطريقة درامية :

– اقولها بكل اسى اليوم، وكل يوم .. لم يعد هناك امان أبداً انه الاهمال يا حكومة ! ! !

ها هي مفقودة جديدة لا نعلم ما حل بها، بالتأكيد ضحية جديدة من ضحايا (خاطف النساء) .. وأعيد سؤالي مجددا أخرتها ايه يا مصر! وكان معكم برنامجكم المفضل

(اخرتها ايه يا مصر!)

***

تمت بحمد الله

السيارة السوداء

سؤالا يشغل الرأي العام .. اين تختفي الفتيات هذه الأيام ؟ .. ربما بسب ذلك الشخص المبهم الذي اشتهر بخاطف النساء؟

هناك مجموعة من الهواة المتحمسون الذين ينتمون لكيان ما يريدون تحقيق هدفهم ياي ثمن كان .. ولا يمانعون في ازهاق بعض الدماء في سبيل ذلك

لقد قال انهم اقتربوا ! .. قال انه سيكون في الأيام المقبلة ! قال ان الأرض ستشرب حتي ترتوي !

وبالطبع كلام لن نفهمه ولكنه غير مطمئن كما يبدو

وما دخل السيارة السوداء في كل هذا ؟

ذلك ما سنعرفه في الصفحات التالية ..